

# مجلة مجمع المصنفين

العدد ١٣٣٩ سنة ١٩٢١ م  
تشرين في دمشق مرة في شهر

تموز وآب سنة ١٩٣٧ م  
ربيع ثاني وجمادى الاولى سنة ١٣٥٦ هـ

مركز تحقيق المصنفين  
المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي { في سورية ولبنان ١٥٠ قرشاً سورياً  
الدفع مقدماً { وفي جميع الاقطار ٤٠ فرنكاً

مجاميع المجلة عن السنين الماضية

من السنة الاولى ٤	ثمان السادسة الى كل سنة منها	في الداخل ٢٥٠
السابعة الى الثانية عشرة	في الخارج ٤٠٠	٢٠٠
الاولى الى السادسة	في الخارج ٤٠٠	٢٢٥
السابعة الى الثالثة عشرة	في الداخل ٢٥٠	٢٢٥

مطبعة ابن زيدون \* دمشق



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

## طرائف لغوية

مقتبسة من سيرة « السيد رشيد رضا »

تأليف عضو مجمعنا العلمي الامير شكيب

أرسلان ، وفي هذا الجزء من المحلة

بيان وتقرير لهذه السيرة الجليلة .

يقول أمير البيان في حاشية الصفحة ٣٤٦ من هذا الكتاب مانعه :  
« كنت دائماً إذا وجدت في كلام السيد لفظ لا أجد لها أصلاً في اللغة  
أعترض عليه فيها ، وأسأله عن الوجه الذي عنده في هذه اللفظة ، وكان هو  
يفعل معي كذلك ، وسنورد جل ما وقع بيننا من المطارحات اللغوية لأن فيها  
فوائد لطلاب العربية . »

جاء في رسالة للسيد رشيد رضا رحمه الله ص ٣٥٤ مانعه :  
( الدعاية ) وردت في كتاب النبي ( ص ) إلى هرقل قال : « ادعوك  
بدعاية الإسلام » كما في كتاب « بدء الوحي » من أول صحيح البخاري ، وهي  
كالدعوة الكثيرة الاستعمال في كل ما يدعى إليه ، فأحييت استعمال الكلمة الطريفة  
في الدعوة الخاصة بالمذاهب العامة من سياحية ودينية ، واتبعني بها كثير من  
الكتاب (١) .

وجاء في رسالة أخرى للسيد رشيد رضا ص ٦٩٥ مانعه :  
« سألتني في كتاب سابق عن كلمة دعابة وقد خطرت في بالي الآن فذكرتها

هنا بغير مناسبة لثلاث أناسها بعد كما نسبتها من قبل فأقول : انما وردت في أصح الروايات في كتب النبي (ص) إلى الملوك كما تراه في البخاري وغيره ، وأنا الذي روتهما في الاستعمال ، نهي من شواهد حديثك على الذين يذكرون كل ما لم يرد في كتب المعاجم المتداولة ، ونقل رواية الصحاح من الحديث أوثق من رواية اللغة ، وقد ورد دعاوة بالفتح في دعوة النسب وقلب الواو في الكسر ياء لمناسبة الكسرة ، وهذا القلب جائز لا واجب كما ورد في القوام والقيام .

وجاء في رسالة أخرى للسيد ص ٦٦٨ مانعه :

« وأما المنتقد اللغوي فقد ذهب به الادلال بنظرياته إلى الجرأة على ما تقول في الحديث النبوي ، فلفظ الدعاية ثابت في رواية البخاري وفي أصح الروايات ، وهو مقبوس ومثله الشكابة من شكك يشكو ، وهو أيضاً منقول في لسان العرب ومستدرك الزبيدي على القاموس (٢) ٠٠٠ هذا وإنني لم أذكر لك أن لفظ الدعاوة قد ورد في اللغة إلا لبيان أن تكون أصل المادة واردة لا يمتنع قلب الواو ياء لمناسبة كسر أول الكلمة ، وجملة القول أن لفظة الدعاية وردت بأصح الروايات وهي مقبولة . »

وعاقى مؤلف هذه السيرة الرشيدية الأمير شكريب أرسلان على الرقم (١) من الشذرة الأولى مانعه :

« نعم قد صار هذا الاستعمال تماماً في معنى ما يسميه الافرنج ( يروباغندا ) وقد سألت السيد رشيداً عن مصدرها فأجابني بهذا الجواب ، وسألت غيره من علماء الحديث مثل الاستاذ نبي الدين الهلالي المغربي السجلماسي فأبى كلام السيد رشيد ، وقد جاء في لسان العرب خبر هذا الكتاب من النبي عليه السلام إلى هرقل : « أدعوك بدعاية الإسلام » أي بدعوته ؛ ولكنه قال بعدها : وفي رواية « بداعية الإسلام » وهو مصدر بمعنى الدعوة كالعافية والعاقبة ، واقتصر صاحب المصباح على الدعاوة ، ولهذا تمسك بعضهم بأن دعاية قد تكون خطأ نسخ ، وأن أصلها الدعاوة لا يميز غيرها ، وعلموا ذلك بأن الفعل واوي ، وأن الدعاية بالياء ، والحقيقة أن نسخ البخاري لا تعد ولا تحصى ، فلو كانت الدعاية من خطأ النسخ

لكان العلماء أصلحوها ، ومن المعلوم أن علماء اللغة في المحدثين كحصى البطحاء ، فليس السيد رشيد رضا وحده بالذي روى ذلك ؛ وأما كون الفعل واوياً قد ينم من انقلاب الواو ياء ، ولذلك أمثال كثيرة ، جاء في لسان العرب : سفت السانية تسنو سنواً إذا استفتت ، وسنابة وسناوة ، وهو في صيغة قومه وصوابة قومه ، والنقاوة والنقاية من كل شيء ، والنفاوة والنفاية من كل شيء ، وهي النفية والنفوة ، وداهية دهواء ودهياء ، وله غنم قنوة وقنية وقنوان وقنيان ، وأهل العالية يقولون القصوى وأهل نجد يقولون القصيا ، وأتوت به أناة وإتابة ، ورغاية اللين ورغائوته ، وجباية الخراج وجباوته وهو بلو سفر ويلي سفر وهم جراً بما لا يحصى .

وجاء في التملیقة الارسلانية على الرقم (٢) من الشذرة الرشيدية الثالثة مانحه :

« جاء في مخصص ابن سيده صفحة ١٩ من الجزء الرابع عشر ما يلي : وأرى كيف تدخل الياء على الواو ، والواو على الياء من غير علة ، إما لمعاقبة هند القبيلة الواحدة من العرب ، وإما لاقتراق القبيلتين في اللغتين ، فأما ما دخلت فيه الواو على الياء والياء على الواو لملة فلا حاجة بنا إلى ذكره في هذا الكتاب لأنه قانون من قوانين التصريف ، قال الأصمعي : سألت المفضل عن قول الأعشى :

لعمري لمن أسمى من القوم شاخصاً      لقد نال خيصاً من ضريدة خائصاً

فقلت : ما معنى خيصاً خائصاً ؟ فقال : أراه من قولم : فلان يخوص المطاء في بني فلان ، أي يقلله « فكأن خيصاً شيء يسير ، ثم بالغ بقوله : خائصاً كما قالوا موت مائت ؟ قلت له : فقد كان يجب أن يقول : لقد نال خوصاً إذ هو من قولم : هو يخوص المطاء ، فقال : هو على المعاقبة ، وهي لغة لاهل الحجاز وليست بمطرودة في لغتهم ، وأنا أذكر منها بحسب ما يحضرني إن شاء الله . قال ابن السكيت : أهل الحجاز يسمون المتواخ الصياغ ، قال : ويقولون المياثر والمواثر ، والمواثي والمياثي ( وأخذ يورد من الأمثال ) المتأوتب والمتأيب

وشيطه وشوطه ، وقد دوتخوا الرجل وديخوه ، وقد فاد يفود ويفيد في الموت ، وعار يعور ويمعر إذا ذهب ههنا وههنا ، وغارني الرجل يغيرني ويفورني إذا أعطاك الدبة ، وقد تميزت وتموزت ، وتوتت الرجل وتيته ، وطوتحتن وطيطحت ، وساحت الركبة تموم وقد قيل تميه وتماه ، ويقال طال طوئك وطال طيلك ، وضاره يضيره ، وزعم الكسائي أنه سمع بعض أهل العالية يقول : لا ينفعني ذلك ولا يضورني ، وأن فلاناً لسريع الأوبة وقوم يحوتون الواو ياء ، فيقولون سريع الأوبة ، ونوم يقولون : لانه بليته ولغة أخرى بلوته ، إلى أن يقول :

تبوغ الدم بصاحبه غلبه ، وفي الحديث : إذا تبوغ الدم بصاحبه فليحتجم وما أعيج من كلامه بشيء ، وبنو أسد يقولون : ما أعوج بكلامه ، ويقال : هو من صباية قومه وصوابة قومه ، وثور وثورة ونيرة ، وقد تصيح البقل إذا هاج وتصوح ، وتصيح ، وتصوح وأقام وأقام ، وتهر الجرف وتهور ، وفاحت ريحه تفيح فيحاً وفاحت ريحه فوحاً ، والطوع والطيع ، ويقول بعضهم : حكوت عنه الكلام أي حكيت ، وطا الماء بطمي ويطمو ، وكذلك ينحي وينمو ، ومقا الطست أي جلاها يمجوها ويمقيها ، وقد ثوت الحديث وثيته ، وفليت رأسه بالسيف وفلوت ، وقأيت وقأوت ، وداهية دهياء ودهواء ، وغنم قنوة وقنية ، والنفاوة من كل شيء خياره ، والنفاية والنفاوة ، وعزبته إلى أبيه وبنو أسد يقولون : عزوته إلى أبيه ، وحشيت عليه التراب وحشوته ، وما كان مرضياً ومرضواً ، وأهل العالية يقولون : الرقصى وأهل نجد يقولون الرقصا ، وحكى الفراء عن الكسائي : سناها الفيث بسنوها فهي مستنوة ومنية ، وسحوت الطين عن الأرض وسحيت ، وقد أتوت به إتاوة وأتاوة ، ورثوته ورثيته ، ورغاية اللين ورغواته ، ومحوت أمحو ومحيت أمحي ، وجبوت الخراج وجبيته جباوة وجباية ، وطفوت يارجل وطفيت ، وهذوت وهذبت ، ولحوت العصا ولحيتها وطليت اللحم وطموته ، وقد صفوت وصفيت ، ولغوت ولغيت ، ولحوت وغايت وسحوت وسلبت ١٠ باختصار .

ولم يذكر الفيروزابادي إلا السطوة بالواو ، ولكنه ذكر أن دعيت لغة في



دعوت ، وذكر الزبيدي فيما استدركه على القاموس دعاية الاسلام بكسر أوله وهي دعوته .

وقد أعاد الأستاذ الرشيد طبع « آخر بني سراج » في مطبعة المنار ، وهي رواية شانويجيان المشهورة التي كان الأمير شكيب قد عرّتها في شباب آدابه ، فغثر السيد رشيد على بعض ألفاظ وتعايير لم يرض نسبتها إلى أمير البيان فأرسل إليه رسالة لغوية مطولة من ٣٨٣ تقنصر منها على ما يلي من ٣٨٥ :

« النوع الثاني ما هو من الاصل وسببه في الاكثر كثرة استعمال المعاصرين وهو قسان : أحدهما المفردات والثاني الجمل والأساليب ، فمن المفردات قولكم : الخطر المحيق ( هذه وقعت سهواً ) ، والصواب في ثلثه الثلاثي كقوله تعالى : ( وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ) وقوله : ( ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله ) ويعدى حاق بالمحمزة فيقال : حاق به السوء وأحاق الله به .

وبشبهها قولكم : ضجة مهولة ، وإنما يقال : هاله الأمر أو الخطب ، وفي الأساس : أسر هائل وهو الهمس جعله هائلا ، نعم في مجازة : مكان مهول أي فيه هول ، ولا يظهر مثله في وصف الضجة ، وإنما صححت مثل هذا مع علمي باحتجاجكم أو إمكانه بمثل « مكان مهول (١) » .

ومنها قولكم : ( إن هذا لنبا عظيم ) وهنا غيرت الموصوف فقلت : الخطب عظيم ، لأن النبا خاص بالكلام ، وليس المقام مقام كلام بل مقام وصف ابن سراج لأرقه وذلك .

ومنها ( ارتباد التعاشيب ) والتعاشيب نص في مرادكم فإنها النبذ المتفرقة من العشب ، وأظن أن هذه من غلط الطبع ، وإلا فهي من سبق القلم ، والاول أرجح ، فإن الكلمة من الفرائد غير المستعملة عند ضفاه الكتاب الذين جنوا على جهاذتهم ( وإنما كتبها تعاشيب وأردت أن أحبي بها كلمة فصيحة مجهولة تقريباً عند ضفاه الكتاب ) .

الثاني : الجمل والأساليب ، وما استنكرته من هذا القسم أكثر من غيره وقد كاشفتكم بشيء منه قبل الشروع في الطبع ، فعلمتم بما رجعت إليّ من القول فيه : ان بعض ما هو قطعي عندي أو قريب من القطعي مما يفرج أو يمكن أن يكون موضع بحث وجدال طويل عندكم ، فصحت ما رجعت أو جزمت باستحسانكم لتصحيحه إن لم يكن لاعتقادكم بأنه خطأ أو غير فصيح فلاعتقادكم بأن بدله صحيح فصيح أو أنه ألصح ، وأذكر بعض الأمثلة على هذا القسم غير مرتبة :

(١) قولكم : ( ومرت الفلك بريح طيبة ) استبدلت به ( وجرت الفلك به بريح طيبة ) ووجه أن السرى خاص بما كان في الليل ، ولا عمل لهذا التخصيص ، وإن ما ذكرته موافق لقوله تعالى : ( وجري بهم بريح طيبة ) وقد خطر ببالي أنكم أردتم استعمال أسلوب القرآن فلم تذكروا الآية ، وقد راجعت أستاذنا ( الشيخ محمد عبده ) مرة في كلمة كتبها في مقالات الإسلام والنصرانية مخالفة لاستعمال القرآن وهي صواب في نفسها ، وكانت المراجعة كتابية فكتب إليّ بأن أصححها أو أغيرها ، وعلم ذلك بأنه لا يجب مخالفة أسلوب القرآن ولو إلى صواب ، والكلمة المذكورة « نصح له » أو « وهب له » لا أتذكر أيهما الآن .

(٢) مثل ( وما هو ذلك القصر ) ، وهذا مما يكثر في كلام المعاصرين وهو مأخوذ من اصطلاح الناطقة في السؤال عن ماهية الشيء ، وكلمة الماهية مشتقة منه ، وهو من اصطلاحهم وقلدتم كثيرون والضمير فيه ( هو ) لا حاجة إليه ولا مرجع له ( والمدققون من الكتاب ومصححي الانشاء في وزارة المعارف يتحامونه ويزعمون الضمير مما يصححون ، وفي الكتاب العزيز : ( قال وما رب العالمين ) .

(٣) قولك : ( ولذلك فإن بقايا آياته ) وفيه ان ما بد الفاء لا يعمل فيما قبلها ، وإن الجمع بين لام التعليل وفاء السببية لا حاجة إليه في أكثر هذه الاستعمالات



التي كثرت جداً في اسلوب المعاصرين غير المدققين ، والوجه في الجمع بينها تقديم الفاء كأن يقال : فلهذا يقال كذا .

(٤) كلمة (فضلا عن كذا) في مقام الاثبات ، وقد تكررت في كلامكم لانه صار من الاستعمال المألوف عند العلماء منذ قرون ، ولكن المتقدمين قلما يستعملونه الا بعد النفي ، لما لهم من التخريج النحوي له مع نصريح بعضهم بأنه ليس من كلام العرب ؛ فنقدير الكلام في (فلان لا يملك درهماً فضلاً عن دينار) : أنه فقد ملك درهم فقدراً فاضلاً وزائداً عن فقد ملك دينار الخ... ولا بد ان تكونوا اطلعت على هذا ونسبتموه ، ولا سيما عند الاستعمال فحريتم على ما تقرأون دائماً في الكتب والجرائد ، وكم وقعت أنا وغيري في مثل هذا ، ومنه قولكم في كون المسلمين أحوج من النصارى الى الماء : (لانه فضلاً عن الشراب يلزمهم لاجل الوضوء) فيم تنصب كلمة فضلاً هنا ؟

واستعمال (يلزمهم) هنا يعني يحتاجون اليه لا أعرف له أصلاً في اللغة ، وإنما هو عصري حديث ، ولكن لا ادري متى كان استعماله ، ولعلكم تعرفون له اصلاً فاني لم أراجع عنه باستقصاء ؟

ومنه قولكم في وصف غناء أو ماء (وتجود بكل نعمة يتزنج لها الجمود فضلاً عن كون الموسيقى الاسبانية في طبيعتها ما اشتملت عليه من كذا وكذا تفعل كذا وكذا) فيجوز ان تكونوا اطلعت على تخريج يرضيكم لمثل هذا الاستعمال ، ويجوز أيضاً ان تكونوا قد اطلعت على نص فيه لم نطلع عليه نحن ، ولا مثل أبي حيان الاندلسي الذي بحث ما لم نبحث ، ولكن ما أظن انه يخطئكم تغيير هذا الاستعمال أنا وأمثالي بما لا نذكرونه بدليل انكم قرأتموه ولم تعدوه خطأ ، على أنني لا اذكر أبي غيرت هذا الاستعمال في كل مكان ، وإنما عرفت هذين الموضعين لانهما مما كنت وضعت عليه علامات الاستفكار .

(٥) يقرب من هذا الاستعمال مثال قولكم : (ولكن كأنني بهذا الطريق بدلاً عن أن يزداد بهم حركة وأننا ازداد وحشة ووحدة) وقولكم (ولكن وأصفاء بدلاً من قرع الطبول لم يكن حول ابن حامد إلا السكوت التام)

فيقلب الدهن هنا في (بدلا) المنصوبة حتى يجيء ما بعدها فيلتبس لها ناصبا بالتقدير في الكلام ، وتأخيرها مما يتعلق بها يزول هذا التعقيد ، ومن الخطأ في الجملة الأولى وضع (عن) مكان (من) والمنقول (بدل منه) كما في الجملة الثانية ، وربما كانت الأولى من غلط الطبع ، والمعاصرون يستعملونها .

(٦) ومثله فيما تقدم وحقة التأخير قولكم (وأصلحته تزيد رونقا وجلالا صليحة وجه) فصياحة وجهه مفعول أول ، ورونق مفعول ثلث ، وتقديمه خلاف الأصل ، فلا ينبغي إلا لضرورة شعر أو نكتة من نكت المعاني ، وأنا أعقد أنك لو لم توافقي الآن على هذا فلفته أنك ألفت قراءة هذه الرواية لأنها من أوائل ترجمتك ، بل أعقد أنك لولا هذه الالفة لصححت منها عند قراءتها الأخيرة الفاظا وجللا كثيرة بما لا تترك تستعمله الآن ، وأعيد التذكير بأن المراد تصحيح ما بناني الفصاحة والبلاغة لا ما بناني قواعد الاعراب ومفردات اللغة فقط .

(٧) قولك (ثم تحفزا وتواليا الواحد على الآخر) ولا بغرب عنك ان معنى تواليا وثب احدهما على الآخر ، فلا حاجة معها الى قولك : الواحد على الآخر .

(٨) ومثله (وصاروا يتظاهرون بعضهم على بعض) وهو ما يسمونه لغة

البراغيث والقصيح يتظاهرون بعضهم على بعض .

(٩) وأبعد منها عن الفصاحة بل عن الصواب قولك : (وبقيت مرايا الفريقين تتردد الى غزو بعضها بعضا) ، فانه من عدوى الجرائد وأمثالها من مكتوبات المعاصرين التي لا تقلبها لغة البراغيث وبتجنبا من دونك من الكتاب المتأنفين .

(١٠) وأندكو ان مما تكرر وهو لا يرضيك الآن مثل (نحو ثلاثمائة) بإضافة نحو الى العدد ، والمنقول عن الفصحاء (نحو من كذا) فإف وجد نال للادل فلا اذكره ولا أجد وقتا للعراجعة الطويلة وحسي من القصيرة انحصار أساس البلاغة على قوله : وعنده نحو من مائة رجل .

(١١) قولك : وكانت المقبرة عبارة عن روضة معروضة من التارنج والسرور والنخيل ، كلمة (عبارة) خاصة بالكلام ، واستعملها كثير من علمائنا في تفسير بعض الحكم أو تعريف بعض الاصطلاحات اللغوية ، وأنكر هذا بعض اخواننا

من نظار المدارس في احدى جلسات المجمع اللغوي فصوت كلامه في مثل هذا الاستعمال الذي يكثر في الجرائد وأمثاله فقط ، وفي العبارة ايضاً ان المروش من الشجر والنجم ما كان كالدوالي ، وغير المروش ما كان كالعسرو والخيول ، وهو ما حققناه في تفسير « جنات معروشات وغير معروشات »

(١٢) قولك : ( ان يصلح ذات البين بين الفرسان ) الوجه ان يقال : ذات بين بين الفرسان بالاضافة فقط كما قال تعالى : « واصلحوا ذات بينكم » .

(١٣) قولك في حث البغال وزجرها : ( بأن يناديها تارة يا جهدة يا صرمة ، او ان يزجرها طوراً بقوله عدسى ، لا حاجة هنا ( لاؤ ) ولا ( لأن ) فالمقام مقام مقام الواو وحدها .

هذا بعض ما بذلت من الاجتهاد في تصحيح كتاب أجل اصدقائي فضلاً وادباً ووطنية وخدمة للامة من طريق المساعي السبائية وثقثت اليراع الى انشد يقول : وما جريت معك في هذا الا على الطريقة التي استعملت عليها في معاملة شيخنا الاستاذ الامام في عهده وبعد عهده ، فقد كنت اراجعه في حالة القرب بما أرى انه يحتاج الى اصلاح لفظي او معنوي من كلامه فيسمر بذلك جد السور ويعمل به ، وكنت اصحح في حالة البعد ما أقطع بأن تغييره اولى ، وقد علقنت على رسالة التوحيد حواشي لا تخلو من تخطئة الاصل ، وقد اذنت لي بتصحيح خطابه الذي ألقاه في تونس بعد ان طبع فيها مصححاً بقلمه ، ولم يبال ان يرى علماء تونس وادباؤها ان ما طبع في المنار اصح مما طبع عندهم ، فقد كانت هذه المعاملة من استاذنا الاكبر في الانشاء وعلوم البلاغة سبباً في تمكن تلك العادة التي اشار اليها حيدى الامير ، واعترفنا له مع ذلك بالحق فيما انتقده منها . . .

هذا بعض ما جاء في هذه الرسالة اللغوية الطويلة ، وقد راجع الأمير حديقه الرشيد في كثير من تصحيحاته ، منها لفظة مهول فقد علق عليها بقوله : « كلام نجز لفظة مهول لأجل قولم مكان مهول ، بل لورود مهول في الكلام العربي . جاء في لسان العرب : وهول هائل ومهول ، وكرها بعضهم وقد جاء في الشعر النصيح وقال :

ومهل من المناهل وحش ذي عراقين آجن مدغان  
 وتفسير المهول أي فيه هول ، والعرب إذا كان الشيء « مهولة » أخرجه  
 على فاعل مثل دارع ذي الدرع ، وإن كان فيه أو عليه أخرجه على مفعول  
 كقولك مجنون فيه ذاك ومدبون عليه ذاك اه وقد قال بديعم الزمان الممداني  
 لأبي بنكر الخوارزمي في المناقشة التي جرت بينهما مرتجلاً :  
 أراك على شفا خطر مهول بما أودعت لفظك من فضول  
 وبديعم الزمان يجعل ما بقوله بمنزلة ما يرويه

وناقشه الأمير في عبارة ( وما هو ذلك القصر ) بقوله : لا شك أن  
 القاعدة هي ما قال ، ولكن ليس بخطأ أن يقال « ما هو ذلك القصر » وما في  
 ضربه ، وقد ورد كثيراً في كلامهم وذكر سبويه أن هذه الضمائر : أنت وأنا  
 ونحن وهو وهي وهم وهن وأنتن وهما وأننا وأنتم تأتي وصفاً للمضمر المحرور  
 والمنصوب والمرفوع وذلك قولك سررت بك أنت ورأيتك أنت وانطلقت أنت ،  
 وليس وصفاً بمنزلة الطويل إذا قلت سررت يزيد الطويل ، ولكنه بمنزلة نفسه إذا  
 قلت سررت به نفسه وأتاني هو نفسه ورأيت به نفسه ، وإنما تريد بهن ما تريد  
 بالنفس إذا قلت سررت به هو ( إلى أن يقول ) : واعلم أن هذا المضمر  
 يجوز أن يكون بدلاً من المظهر وليس بمنزلة في أن يكون وصفاً له لأن  
 الوصف تابع للاسم مثل قولك رأيت عبداً أبا زيد ، فأما البدل فنفرد  
 كأنك قلت زيدا رأيت أو رأيت زيدا ثم قلت إياه رأيت وكذا أنت وهو  
 وأخواتها في الرفع . وأورد سبويه قوله تعالى « ولا يحسن الدين يدخلون بما  
 آتاهم الله من فضله هو خيراً لم » وقال : صارت « هو » هنا بمنزلة ما إذا  
 كانت لغواً في أنها لا تغير ما بعدها عن حاله قبل أن تذكر ، واعلم أنها تكون  
 في إن وأخواتها فصلاً وفي الابتداء ولكن ما بعدها مرفوع لأنه مرفوع قبل  
 أن تذكر الفصل ( قال ) : واعلم أن « هو » لا يحسن أن تكون مفصلاً حتى  
 يكون ما بعدها معرفة أو ما شبه المعرفة طال ولم تدخله الألف واللام ( قال ) : وقد جعل  
 ناس كثير من العرب « هو » وأخواتها في هذا الباب اسماً مبتدأ وما بعده مفعلي

عليه ، فمن ذلك أنه بلغنا أن رؤية كان يقول أظن زيداً هو خير منك وناس كثير من العرب يقولون ( وما ظلمناهم ولكن هم كانوا الظالمون ) وكان أبو عمرو يقول : إن كان لمو العاقل ، ثم يقول سيبويه إن « هو وأخواتها » يكون بمنزلة اسم مبتدأ وذلك قولك ما أظن أحد خير منك وما أجمل رجلاً هو أكرم منك ، فلم يجعلوه فصلاً وقبله نكرة كما أنه لا يكون وصفاً ولا بدلاً لنكرة وكما أن كلهم وأجمعين لا يكرران على نكرة فاستثقلوا أن يجعلوها فصلاً في النكرة كما جعلوها في المعرفة لأنها معرفة فلم نصر فصلاً إذا لمعرفة كما لم تكن وصفاً ولا بدلاً إلا لمعرفة اهـ

وقد جاء في مفتي اليب لا بن هشام أن « ما » نكرة متضمنة معنى الحرف وأن « ما » الاستهامية معناها أي شيء نحو : ما هي ؟ ما لونها ؟ وما تلك بينك ؟ قال موسى : ما جئتم به السحر وذلك على قراءة أبي عمر وآلسحر بد الألف فما مبتدأ والجملة بعدها خبر ، وآلسحر إما بدل من ما ولها قرن بالاستهتام وكأنه قيل آلسحر جئتم به ، وإما تقدير أهو السحر أو السحر هو ، وبقوبه قراءة عبد الله ما جئتم به سحر ، إذاً لو قيل ما هو السحر مثلاً « فما » مبتدأ والجملة بعدها خبر والسحر بدل من ما ، وقد سألت عن هذا الاعتراض العلامة السيد نقي الدين الهلالي السجلماسي فاستغرب وقال لا أظن أن السيد رشيداً ينعم جوازه كما أنه لم يقبل لي أن الجملة منافية للبلاغة وقال : ما هو ذلك القصر . الضمير يعود على القصر وإن كان متقدماً لفظاً فهو متأخر رتبة لأن « ذلك » مبتدأ والقصر بدل وجملة « ما هو » خبر ووجب تقديمها من أجل ما الاستهامية . وأما إنكار السيد رشيد على الأمير قوله ( ولذلك فإن بقايا آياته ) بجملة أن ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها وأن الجمع بين لام التعليل وفاء السببية لا حاجة إليه وأن الوجه تقديم الفاء كآت يقال : فلذلك كان كذا ، فقد رده الأمير مستدلاً على صحة قوله ص ٣٩٠ بما نصه : « إن هذا الاستعمال وارد من التقديم حتى في كلام سيبويه نفسه ففي الكتاب صفحة ٣٩٠ من الجزء الأول يقول : فلي هذا فأجر ذا الباب . وفي الجزء الأول أيضاً صفحة ١٨٩ : فلي

هذا فقص المعرفة ٠ وفي الجزء الثاني صفحة ٩٧ : فكذلك فقص هذه الأشياء ٤ وفي صفحة ١٦٧ : فلي هذا فقص هذا النحو ٤ ومثله ما لا يحصى في كلام أئمة اللغة قديماً وحديثاً ٤ وابن هشام وهو من هو في النحو يقول في الصفحة الخامسة من الجزء الثاني من معني اللبيب الذي عليه حاشية الأمير : وعلى هذا فلا يصح استثناء ما الخ ٠٠٠ وقال في الآية الكريمة « وما بكم من نعمتي فإني الله » الأرجح أنها موصولة وأن الفاء داخلة على الخبر لا شرطية والفاء داخلة على الجواب اه ٤ وقال الله تعالى : ( والذين كفروا فنعسّ لهم ) .

وأنكر رحمه الله على الأمير استعماله في مقام الإثبات ( فضلاً عن كذا ) فرد إنكاره بقوله : إن استعمال ( فضلاً عن كذا ) بمعنى زيادة عن كذا مستفيض في كلام المؤلفين والكتاب من زمن قديم كما يعلمه كل من تنبم كلام القوم ٤ وإن كنا لم نعرف متى بدأ هذا الاستعمال ؟ وقول أبي حيان الاندلسي انه ليس من كلام العرب لا يدل على عدم جوازه لأننا لو قضنا كلام المؤلفين من بعد الاسلام الى اليوم لوجدنا فيه ما لا يحصى من الاستعمالات التي لم يكن يعرفها العرب ليس في الأمور العلمية والفنية والمواضيع الفلسفية فحسب بل في الأمور المعتادة الاجتماعية أيضاً ٤ فقد استعمل العرب بعد الاسلام جملاً وألفاظاً لا يأخذها الاحصاء ٤ لو نشر عرب الجاهلية والقيت على أسماعهم لم يفهموها ولا عرفوا المراد منها حتى انهم قالوا ان بدوياً سئل عن القلم فلم يفهم معناه فقبل له : ماذا نقصور من كلمة القلم ؟ فقال : أتصور انه شيء يقطع أو يقلم ولا أقدر أن أفهم شيئاً وراء ذلك ٠ وفي العرب بعد الاسلام بكثير بنحاموت كثيراً من الاصطلاحات قال مديوبه في باب الجموع : أعلم انه ليس كل مصدر يجمع كالأشغال والعقول والحلوم والالباب ألا ترى انك لا تجمع الفكر والعلم والنظر اه ٠ فتأمل الآن لغة عربية لا يجوز فيها جمع العلم والفكر والنظر ٠٠٠ والحال انه لا يكاد الكاتب يتمق بضمة



اسطار حتى يفسر الى ذكر العلوم والافكار والانظار وهي مستفيضة في النظم  
والنثر فقولهم (فضلا عن هذا) زيادة على هذا لان الفضل هو زيادة، وقد رأيت في بعض  
كتب المتقدمين قوله: فضلا عن كذا وزائداً على كذا . نعم ان أكثر استعمال  
فضلا عن كذا يبيح بعد نفي، ولكن قولهم ان ذلك في الاكثر صريح بأنه  
قد يبيح ايضاً بعد ايجاب، والسيد رشيد رحمه الله قبل ان كتب اليانا هذا  
الاعتراض قرأ ما جاء في «المصباح» فانه يقول: لا يملك درهماً فضلاً عن دينار  
وشبهه معناه لا يملك درهماً ولا ديناراً وعدم ملكه للدينار أولى بالانقضاء وكأنه  
قال لا يملك درهماً فكيف يملك ديناراً واتصاه على المصدر والتقدير فقد ملك  
درهماً فقدأ بفضل عن فقد دينار . وقال قطب الدين الشيرازي في شرح الفتاح:  
اعلم ان فضلاً يستعمل في موضع يستبعد فيه الادنى ويراد به استحالة ما فوقه  
ولهذا يعم بين كلامين متغايري المعنى وأكثر استعماله ان يبيح بعد نفي .  
وقال شيخنا ابو حيان الاندلسي نزيل مصر المحروسة أبقاه الله تعالى: ولم أظفر  
بنص على ان هذا التركيب من كلام العرب وبسط القول في هذه المسألة وهو  
قريب مما تقدم . اهـ .

وقد نقل الزبيدي في شرح القاموس ما ورد في المصباح عن قضية (فضلا  
عنه) أما سؤال الاستاذ عن اعراب فضلاً في قولي (لانه فضلاً عن الشراب يلزمهم  
لاجل الوضوء) فأجيب بأنه منصوب على المصدر مثل قولهم لا يملك درهماً فضلاً  
عن دينار، وتخريجه ان الماء يلزم المسلمين لاجل الوضوء لزوماً فاضلاً عن لزومه  
للشرب . أما استعمال (يلزمه) (ويلزم له) فهو ايضاً مستفيض أكثر من استفاضة  
الاول، ومعنى لزم ثبت ودام وكأنهم لحظوا ان ما يحتاج اليه الانسان بصورة دائمة  
بعد من الامور اللازمة أي التي يحتاج اليها الانسان لزوماً فصار هذا الاصطلاح يفيد معنى  
الاحتياج ولو لم يكن كذلك في الاصل . وقد سألت العلامة السيد نبي الدين  
الهلالي المتقدم الذكر عن جملة: (لانه فضلاً عن الشراب يلزمهم لاجل الوضوء)  
فأجاب: الذي يظهر لي أن هذا جائز وان نصبه على المعنوية المطلقة كما ذكرتم

سائق (قال) وبدالي وجه آخر في نصبه وهو أن يكون حالا بمعنى فاضلا من فاعل يلزم وتقديم الحال جائز . قال ابن مالك :

والحال ان ينصب لفعل صرفا او صفة اشبهت المصرتفا  
فعائز تقديمه وهو هنا كذلك فان (يلزم) فعل متصرف ؟ واما كون المصدر حالا فكثير قال ابن مالك :

ومصدر منكر حالا يقع بكثرة كبغته زيد طلع  
وفي ذلك خلاف معروف .

وراجع الامير في استعماله مثل (نحو ثلاثمائة) باضافة نحو الى العدد لان المنقول عن الفصحاء (نحو من كذا) ، فأجابه الامير بما يلي : متفق على ان الافصح ان يقال «نحو من كذا» ولكن ايسر ينطو ان قيل نحو كذا وقد رأيت هذا الاستعمال في كتاب سيوبه وليس مرة واحدة فقد جاء في الجزء الثاني صفحة ٢٣٥ من طبعة الكتاب في باريز ما يلي : وقالوا نظير كما قالوا وسيم فبنوه بناء ما هو نحوه في المعنى . وجاء في صفحة ٢٣٦ من الجزء الثاني : وما كان من الصغر والكبر فهو نحو من هذا وجاء في صفحة ٣٣٥ : وقالوا ضخم ولم يقولوا ضخم كما قالوا عظيم ثم قال في الصفحة التي تليها : وقد يبنون الاسم على فعل وذلك نحو ضخم وضخم وعجل وجههم اهـ ، ثم يقول : فهذا يدل على انه نحو الطويل والقصير ، اذا يجوز الوجهان ووضع (من) بعد (نحو) هو أولى . وسألت صاحبنا السيد الهلالي وهو الفاية البعيدة في النحو واللغة عن هذه المسألة فقال لي : نعم الافصح العربي الخالص (نحو من ثلاثمائة) ، واما المؤلفون من عهد سيوبه الى الان والشعراء فانهم اكثرهم من ذلك ، والنحو من معانيه المثل كما هنا فلا إشكال في جوازه اهـ .

وسأته أيضا عن بقية اعتراضات السيد رشيد رحمه الله فقال : (بدلا من قرح الطويل الخ) يظهر لي ان السيد إنما اعترض هنا من جهة البلاغة وكان يدين فيها كثيرا ، واما الجواز فلا أراه ينكره وأمر ذلك سهل إذ لا يخلو انسان ان يوجد في كلامه خلاف الاولى من جهة البلاغة . (قال) : واسلخته تزيد رونقا وجلالا صباحة وجهه) هذا الاعتراض ايضا من جهة البلاغة بلا شك

ويظهر لي أن الصواب فيه مع السيد رشيد لأن ركاكته بادية ولست أنعمه وما أجيتم به فيه أن استجلاب الفكر لعباحة الوجه أم وأولى . ( قال ) : « وبقيت سرايا الفريقين تتردد إلى غزو بعضها بعضاً » جائز وليس هو من لغة الجرائد لأن لغة الجرائد ولغة عامة مصر أنت يقال مثلاً : « وبقيت السرايا تتردد على غزو بعضها » نعم لا تخلو تلك العبارة من ركة ولو قيل : « وبقيت السرايا بنزو بعضها بعضاً » كما قال تعالى : ( وتركنا بعضهم في بعض ) لكان أولى اه .

وقد ختم الأمير هذه الملاحظات بقوله : نقدم لنا كلام في أننا ترجمنا هذا الكلام ترجمة عن الفرنسية من أربعين سنة وراعينا فيه الترجمة الحرفية .

ويعثر قارىء السيرة الرشيدية في غير حواشي الرسائل على فوائد لغوية يحسن بنا نشرها إتماماً لهذه الطرائف المحتعة ، منها ما جاء في ترجمة السيد رشيد رضا لنفسه وفيها ألفاظ عامية يرويها السيد على سبيل الحكاية كلفظة ( تعبان ) ص ٢٧ ، قال الأمير معلّقاً عليها ما نصه :

روى الأستاذ هنا لفظة ( تعبان ) على الحكاية ، والا فني الصحيح لا يقال تعبان ، بل هو تعب ومُتعب على وزن كُتِف ومكروم ؟ وعلق على لفظة « البخشيش » التركية أنها مصدر « بخش ابتحك » أسية أعطى ، ومقابلها في العربي « الحلوان » أو ما يملأ للخادم « الشحل » والحللات بالضم ، وتأمل هنا أيضاً مشرب الشيخ رشيد رحمه الله في نقل الأخبار على علانها .

وعلق الأمير على لفظة ( صادرت ) الواردة في كلام السيد ما نصه : جاء في لسان العرب : ومن كلام كتاب الدواوين أن يقال : صودر فلان العامل على مال يؤديه أي فورق على مال ضمنه . وهكذا نقل ذلك صاحب « أقرب الموارد » بلفظ « فورق » ولكن هذه العبارة تنسبها منقولة في التاج بلفظ « قورق » بالقاف أولاً وهي في التاج غلط طبع أو نسخ إذ لا معنى « لقورق » هنا ، وأما « فورق » فهو للمجهول من فارقه

من حسابه على كذا إذا قطع الأمر بينه وبينه على امر وقع عليه اتفاقهما  
ومثله صادره على كذا ، وكله مولد لبس من كلام العرب الألى . وقد  
جاء في تاريخ الوزراء تأليف أبي الحسن الملأل الحنف بن إبراهيم الصابي  
الكاتب المتوفى للسنة الثامنة والأربعين بعد الأربعمائة قوله في ترجمة أبي  
الحسن علي بن محمد بن موسى بن الفرات : « وصودر على مائة وعشرين ألف  
دينار وصح منها ستون فجيء به من محبته الخ . . . » وقوله عن اسان الخليفة  
المتنفسد في ابن الفرات أبي الحسن وأخيه أبي العباس : أسأنا اليها وصادراهما .  
وقوله في موضع آخر : وسلم اليه علي بن عيسى ومحمد بن عبدون فاعنقهما  
في دار بدر اللاني وقرر عليهما مصادرة خنقها عن علي بن عيسى وثقلها على  
محمد بن عبدون اعداة كانت بينهما ، وهكذا هذه اللفظة تدور كثيراً في  
أخبار ديوان الخلافة .



## أثر الرحلة في الحياة العلمية والأدبية<sup>(١)</sup>

يكثر الراحلون من بلاد إلى أخرى ، والغاية من هذه المحاضرة النظر في رحلات أهل العلم والأدب لتعرف كيف يكون أثر الرحلة أثر عظيم في ترقية العلوم والآداب ، وتهذيب النفوس وإصلاح حال الاجتماع .

ولعل قائلاً يقول : إن فائدة الرحلة قد عرفها الناس على اختلاف أصنافهم وتفاوت طبقاتهم فهي من المعلومات الموضوعة على ظاهر اليد ، والحديث عنها صرف الوقت في غير جدوى فأقول : إني في شك من هذا ، فإن كثيراً ممن وهبهم الله القدرة على الرحلة وهياً لهم وسائلها لا يقبلون عليها ، وتصرفون عنها ، انصرفهم عن الأشياء التي يرونها خالية من كل فائدة .

على أني أريد التنبيه لما في الرحلة من آثار صالحة لأضعها أمام نشئنا حتى إذا خطر لهم ما في الرحلة من حرج وعناء نظر إلى هذه الآثار الحميدة ، فيخف وزن تلك المتاعب وتذهب في جانب هذه الآثار هباء .

### الرحلة في نظر الإسلام

لم يدع الإسلام وسيلة من وسائل الرقي ، إلا نبه عليها وندب إلى العمل بها ، وهكذا شأنه في الرحلة فقد دعا إليها رامية إلى أغراض سامية ، مثل طلب العلم قال تعالى : فلولوا قدميكم في الدين ولينذروا

(١) عنوان المحاضرة المحتعة التي ألقاها في ردهة المجمع العلمي العربي العلامة السيد محمد الخضر حسين عضو المجمع العلمي بدمشق والمجمع اللغوي المصري والاستاذ في كلية أصول الدين بالأزهر ، وذلك في ٤ جمادى الآخرة ١٣٥٦ الموافق ليوم ١١ آب ١٩٣٧ .

قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون . ويلحق بالتقفة في الدين كل علم يعد من وسائل الرسوخ في علوم الدين كالنحو والبلاغة ، بل يلحق بالتقفة في الدين كل علم يكسب الأمة قوة ويكون له أثر في نجاحها والاحتفاظ بجزتها كفن صناعة الفواصات والطيارات .

ومن هذه الأغراض أخذ العبرة من أحوال الأمم الماضية ، قال تعالى : قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ، ويلحق بأحوال الأمم الماضية أحوال الأمم الحاضرة متى كان في النظر إليها عبرة ينتفع بها في الوصول إلى سعادة الحياة ، ومن هذه الأغراض الرحلة من دار الضلال والبغي إلى دار الهداية والعدل ، قال تعالى : ومن يهاجر في سبيل الله فيجد في الأرض مراعماً كثيراً وسعة ، ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله . هذه الآية وردت في قوم كانوا يقيمون في دار عسف وغواية فحرضهم على الرحلة إلى المدينة حيث يشدون أزر المسلمين ويقفون في صفوفهم ويكثرون عددهم ، وإذا تشابهت البلاد في الاستخفاف بأمور الدين فعلى العالم المصلح أن يجاهد في سبيل الدعوة إلى الحق والإصلاح بقدر ما يجهد من حربة القول أبناً كان .

ومن فرائض الإسلام ما لا يؤدي إلا بوسيلة الرحلة وهو حج البيت الحرام ، وفي الرحلة إلى الحجاز في أشهر الحج جانب عظيم من معنى التجول في أقطار مختلفة ، حيث يلاقي فيها الرجل طوائف من أمم مختلفة الاجناس متباعدة البلاد .

ولا يعني المقام أن أسوق شواهد من عناية علمائنا بالرحلة لأمثال هذه الأغراض النبيلة ، وأكتفي بأن أسوق على هذه الغاية قصة جابر بن عبد الله الأنصاري ، ذلك أنه سمع وهو بالمدينة أن عبد الله بن أنيس بالشام يروي حديثاً عن رسول الله ﷺ فاشتري بهيراً ثم شد رحله وصار إلى الشام فسمع الحديث من عبد الله وقتل راجعاً إلى المدينة .



## المشبطات عن الرحلة وعلاجها

لأريد من المشبطات عن الرحلة العوائق التي ليس في استطاعة الشخص علاجها ، كفراغ يده من قنقات السفر وكقيامه على امرأة إذا فارقها وقمت في حاجة ونكد من العيش ، بل أريد من المشبطات ما يمرض للنفوس الضعيفة ويغلب على أسرها ، ولولا ضعفها لما كان له عليها من سبيل مثل استعظام مفارقة من يعز عليه من أقارب أو أصدقاء ، مثل إمام الحرمين وهو على المنبر لماذا كان السفر قطعة من العذاب ؟ فقال : لان فيه فراق الأحبة .

وفي الناس من يذكر ما في الرحلة من متاعب بدنية فيحجم عنها ، وأكثر من يمرض لهم هذا المشبط أولئك الذين ينشأون في ترف والخلال عزيزة فيخشون ان يفوتهم ما اعتادوا من الرفاهية ولو زمنا قليلاً ، ومنهم من يترك الرحلة حيث تضطره لركوب البحر فرقا من أهواله ، عزم الحافظ ابو الوليد هشام الوتشي على ركوب البحر الى الحجاز فهاله ذلك فقال :

لا أركب البحر ولو أنني ضربت فيه بالعصا فأتلق  
ما إن رأيت عيني أمواجه في فوق إلا تنأى الفرق

وقد يحجم الرجل عن الرحلة مخافة أن ترحم به بين أقوام لا يعرفون حسبه وأدبه فيلحق من مرافقتهم أو معاشرتهم ما لا يليق بمنزلته ويرتاح له ضميره وقد أشار إلى ما يمرض للرجل من هذه الآلام النفسية الرحالة ابن جبير إذ قال :

لا تغترب عن وطني واذا ذكر تصاريف النوى  
أما ترى القصف إذا ما فارق الأصل ذوى

وأشار يحيى بن حكم المعروف بالفزال إلى أن الغربة سبب لفقد جانب من العزة . فقال :

فصحاء عمر حين فارق كنه رموه ولا ذنب لعجز المضارب  
وما مزة الضرغام إلا عربته ومن مكة سادت لؤي من غالب

وتألم الرحالة ابن سعيد الأندلسي حين نزل ببعض بلاد الشرق وناداه بنضهم باسم المغربي فقال :

وأنادى مغرباً ليتنى لم أكن للغرب يوماً أنسب  
نسب يشرك فيه خامل ونبيه أبى منه المهرب  
أتراني ليس لي جد له شهرة أو ليس بدري لي أب

وعلاج أمثال هذه المثبطات الناشئة عن ضعف النفس وقلة قمرينها على احتمال  
المكارة أن يذكر الرجل ما تأتي به الرحلة من ثمرات علمية أو أدبية عامة أو خاصة ،  
فلماذا وثقت نفسه بفيل غابيتها وحسن عاقبتها سهل عليها كل صعب واستهانت بكل  
خطر ، قال عبد الملك بن سعيد في وصية ابنه علي بن سعيد عندما عزم على الرحلة  
إلى الشرق :

وكل ما كابدته في النوى إياك أن يكسر من همك  
وعزم المأمون الخروج الى بعض الحروب فووقت له جارية من شقف بين  
ورغبت اليه ألا يخرج فقال لولا قول جرير :  
قوم إذا حاربوا شدوا ما أزرهم دون النساء ولو باتت بأطهار  
لما خرجت .

وأذكر أن أبا بكر بن العربي الأندلسي الذي قضى في رحلته ثمانية أعوام  
أورد في بعض كتبه مسألة من مسائل اختلاف حررها وهو في العراق وقال :  
لوم أظفر في رحلتي إلا بهذه المسألة لكفتني ، على أن ابن العربي قد لقي في رحلته  
نصباً في البحر ومخاوف في البر <sup>(١)</sup>  
ليذكر الراحل أن ثمرة الرحلة لذيذة باقية ، وأن تلك الآلام النفسية والمتاعب  
البدنية زائلة ، قال القاضي محمد بن عيسى أحد الراحلين من الأندلس الى الشرق  
بعد أوبته :

كان لم يكن بين ولم تك فرقة إذا كان من بعد الفراق تلاق  
كان لم توترق بالرافين مقلتي ولم تمر كف الشوق ماء آماقي  
ولم أزر الاعراب في جنب أرضهم بذات اللوى من رامة وبراق  
ولم أصطبج باليد من قهوة الندى وكأس سقاها في الأزاهر ساق

(١) أنظر كتاب القواصم والمواصم له .

وجاء في كتب الأدب أشتار يرد ناظموها على من يحاول تشييطهم عن الرحلة كما قال بعضهم :

نقول سليحي لو أقت بأرضنا      فقلت الى ذاك المقام أطوف

وقال ابن دراج :

ألم تعلمي أن الشواء هو الذوى      وإن ييوت العاجزين قبور  
وربما كان المثبط عن الرحلة      إعجاب الرجل بوطنه إذ ينظر له أنه لا يرى  
في غير وطنه أحسن مما يرى فيه      كما قال أبو القاسم عامر بن هشام :  
يا من يزين لي الترحال عن بلدي      كم ذا تحاول نسلا عند عتير  
وأين يعدل عن أرجاء قرطبة      من شاء ينظر بالدنيا وبالدين  
وإعجاب الرجل بوطنه واعتقاده أنه أحسن لمطالب الحياة قد يمنعه من رحلة  
الانقطاع ولا ينبغي أن يمنعه من الرحلات المحدودة بزمان .  
وترى من الأدباء من يمتلئ قلبه حبا لوطنه ولكنه يتغلب على هذه العاطفة  
ويذكر الداعي الى الرحلة فتطمئن اليها نفسه كما قال ابن سعيد لما خرج من  
حدود الربيعة :

رليقي جاوزنا حدود مواطن      صحبنا بها الأيام طلقا محباها  
وما أن تركناها لجل بقدرها      ولكن ننت عنا أنة سقياها  
فسرنا نحت السير عنها لغيرها      الى أن بين الله يوما بليهاها

### فوائد الرحلة

إذا درسنا تاريخ العلماء والأدباء الذين رحلوا عن أوطانهم ووجهنا النظر  
الى ما نتج عن رحلاتهم من فوائد عادت عليهم أو على قومهم أو على الاوطان  
التي نزلوا بها وجدناها من الاهمية بمكان يدعو الى ان تمد في مقدمة وسائل  
الوقى والتهديب .

### ماذا يستفيد الرجل من الرحلة

من أقسى ما يكسب الرجل في رحلته أن يعلم ما لم يكن يعلم ، كم من عالم

لم يبلغ المقام الذي يشار اليه بالبنان إلا بالرحلة . والباحث في تراجم العلماء يقف على أسماء رجال كثيرين بلغوا في العلم الذروة ، وإنما بلغوها بما قاموا به من رحلات تغلبوا بها في مدن زاخرة بالعلوم ولاقوا بها كثيراً من اكابر العلماء مثل الامام الشافعي والحافظ بن عساكر وأبي الوليد الباجي وأبي بكر بن العربي وأسد بن الفرات ، ولابن خلدون في مقدمته التاريخية فصل انتحه بقوله : أن الرحلة في طلب العلم تزيد كمال في التعلم وختمه بقوله : فالرحلة لا بد منها في العلم لاكتساب الفوائد والكمال بقاء المشايخ والتلقي عن الرجال .

والرحلة أثر في سمو الفكر إذ يأخذ الرجل فيها من التجارب ما لا يأخذه وهو مقيم في بلد لا يخرج منه الى غيره ، وقد يكونون بها عن قوة العقل وحسن التصرف في الامور ، وانظر الى بديع الزمان الممذاني حين أراد الدلالة على كمال عقله كيف عبر عنه بركوبه ظهري البر والبحر ، إذ قال في كتاب كتبه الى القاصم العرجي : فأني وإن كنت في مقبيل السن والعمر قد حلبت شطري الدهر وركبت ظهري البر والبحر .

والرحلة أثر في تهذيب الطباع ورفي الآداب ذلك أن كثرة ما يلاقيه الرجل في السفر من المشاق يقوي في نفسه خلق الحلم والمداواة وقد قال بعض الحكماء للغريب :

إن ترمك الغربة في معشر تطابقوا فيك على بغضهم

فدارهم ما دمت في دارهم وأرضهم ما دمت في أرضهم

ولا يخلو الراحل متى كان بصيراً بمواقف العبرة أن يلاقي رجالاً ذوي آداب سامية فيقتبس من آدابهم ما يزداد به أدباً على أدبه ، وهذا ابن وهب رجل من مصر وتلقن العلم بالمدينة عن الامام مالك وقال : تعلمت من أدب مالك أفضل من علمه ، وأقام يحيى بن يحيى بن بكير عند مالك بعد ان فرغ من سماع الحديث عنه وقال : وإنما أقمت لاستقيد من شمائله .

وقد بنشأ التقى في نبوغ وضييق بلده عن انظاره الواسعة فيرحل الى مدينة تكون أوسع مجالاً للاراء الخطيرة فتعظم مكانته ويكثر الانتفاع بمكانته ، ولولا

الرحلة لما عظم شأنه ، ولما كثرت ثمرات نبوغه ، أذكر أن الشيخ عز الدين ابن عبد السلام مر عند خروجه من الشام بالكرك فلتقاء صاحبها وسأله الإقامة عنده ، فقال له الشيخ بلدك صغير عن علمي ، وتوجه إلى القاهرة . وأسوق شاهداً على هذا أنت القاضي يوسف بن أحمد بن كنج بلغ في العلم مرتبة كبيرة ، قال له بعض من لقيه : يا أستاذ الاسم لأبي حامد الغزالي والعلم لك ، فقال القاضي : ذاك رفعت به بغداد وأنا حطتني الدينور .

وقد تكون رحلة العالم أو الأديب من أسباب ظهور علمه أو أدبه وانتشاره في الآفاق ، قال الأديب أبو بكر المعروف بابن بقي :

ولي هم متخذ في بلاداً      فأت إما العراق أو الشاماً  
لكيما تحمل الركبان شعري      بوادي الطلح أو وادي الخزامي  
وكيما تعلم الفصحاء أني      خطيب علم السجع الحماما  
وقد أظلمت بكل أرضٍ      بدوراً لا يفارقن النجماً

وربما أدرك الرجل في وطنه ضيق عيش يخشى أن يعوقه عن الازدياد من العلم أو التفرغ لشهره بالتدريس والمذاكرة ، فيرحل حيث يلقي كفاناً أو يساراً يساعده على أن يقبل على الدرس والبحث بنفس مطمئنة : رحل القاضي عبد الوهاب بن نصر من بغداد إلى مصر ، ونبه على سبب رحلته فقال :

سلام على بغداد في كل موطن      وحق لها في السلام المضاعف  
فوالله ما فارقتها عن قلبي لها      واني بشطي جانبيها لعارف  
ولكنها ضاقت عليّ بأسرها      ولم تكن الأرزاق فيها تساعف  
وكذلك قال أبو سعد النيرباني :

فقد سرت في شرق البلاد وغربها      وطوفت خبلي بينها وركابها  
فلم أر فيها مثل بغداد منزلاً      ولم أر فيها مثل دجلة واديا  
ولا مثل أهلها أرق شمائلاً      وأعذب ألفاظاً وأحلى معانيا  
وكم قائل لو كانت حبيك صادقاً      لبغداد لم ترحل فكان جوابها

يقيم الرجال الموضروث بأرضهم وترمي النوى بالمقترين المراسيا  
وما يظفر به الرجل الفاضل في رحلته أن يتخذ في البلاد التي ينزل بها  
أصدقاء يقتبط بصداقتهم ، والصداقة الخالصة من ألد ما يتمتع الانسان به في هذه  
الحياة ، وكتب الأدب مملوءة بالرسائل والقصائد التي دارت بين علماء وأدباء  
اختلقت مواطنهم وهي عامرة بروابط صداقات ناشئة بوسيلة الرحلة ، وهذا ابن خلدون  
ارتبط بصداقات كثيرة من علماء البلاد كلسان الدين بن الخطيب وابن زمرك ،  
وجرت بينه وبينهم مراسلات ، وأذكر من قصيدة بعث بها إليه ابن زمرك بعد  
نزوله مصر قوله :

بمشك خبرني ولا زلت مفضلاً أعندك من شوق كمثل الذي عندي  
ومثل الحافظ بن عساكر رحل إلى بلاد العجم بعد بلاد العرب وأذكر من  
قصيدة بعث بها إلى صديقه أبي سعد السمعاني قوله :  
أنسبت ثديي مودة بيني وبينك وارتضاعه

### ماذا يستفيد قوم الرجل من رحلته

قد تخطى البلاد بالعلم بعد انقطاعه عنها ، أو تقوم سوقه فيها بعد خمولها ،  
والفضل في ذلك لرجال يرحلون إلى المواضع التي هي منبع العلوم ، ثم يعودون  
وقد امتلأوا بما اغترفوه من العلوم والفنون ، وقد بلغت الحالة العلمية بالأندلس  
بعد عودة أبي الوليد الياسجي من رحلته الشرقية منزلة أرفع وأرسخ مما كانت  
عليه قبل أن يعود وارتحل أبو المقامم بن زبتون التونسي في أوساط المائة السابعة  
إلى المشرق فبرع في العقليات والنقلات ورجع إلى تونس فأتممها بعلمه الكثير  
وأسلوب تعليمه البديع .

ويرحل العالم أو الأدب من وطنه وهو يحمل علماً غزيراً وبشغلي بأدب  
سني وينزل بين جماعات من بلاد مختلفة فيروثه مثلاً لأهل العلم والأدب من  
قومه فيرتفع شأن قومه في أنظارهم ، هذا إلى ما يصفه لهم من محاسن قومه أو ينقله  
اليهم من ثمرات أفكارهم .



### ماذا تستفيد البلد ممن يرحلون اليها

يرحل العالم أو الأديب ، وينزل ببلد ، فيبذر بها متى كانت في حاجة إلى أمثاله — علماً أو أدباً ، ومن ذا ينكر أن بلاد الاندلس قد استفادت من العلماء الذين رحلوا اليها من الشرق ، مثل تاج الدين بن حموية السرخسي ، وأبي علي الغالي ، كما استفادت دمشق من أمثال ابن مالك وابن السبكي ، واستفادت مصر من أمثال أبي حيان وابن خلدون .

وهذا المعري يحمّد السفر الذي جاء بالقاضي عبد الوهاب بن نصر من بغداد إلى المرة فقال :

والمالكي بن نصر زار في سفر بلادنا فحمدنا البأي والسفرا

إذا تحدث أحياء مالكا جدلاً وينشر الملك الضأيل إن شعرا

ولفقه البربر في علوم الدين عن عشرة من فقهاء التابعين بعثهم عمر بن عبد العزيز لهذا الغرض خاصة .

ونرى في تراجم كثير من العلماء الراحلين أنهم كانوا يلقون في البلاد التي ينزلون بها دروساً أو يدرسون بها علوماً يتلقاها عنهم بعض أهل العلم .

فترحلات العلماء والأدباء تنقل العلم والأدب من بلد إلى آخر على وجه أثبت وأقم مما تنقله المؤلفات وحدها .

### أثر الرحلة في تنمية العلوم

للرحلة فضل في غناء العلوم واتساع دائرتها ، وكَم من كتاب بعد في علمه من أمهات الكتب هو وليد الرحلة ، ذلك أن أسد بن الفرات الراحل من القيروان إلى الشرق ورد مصر بعد أن تلقى العلم في الحجاز والعراق ، وألقى على ابن القاسم أسئلة يطلب الجواب عنها على مقتضى مذهب الإمام مالك ، وجمع تلك الأسئلة وأجوبتها في كتاب كان يسمى الأسدية ، ثم رسل ضحنون من القيروان بالأسدية إلى ابن القاسم ، وعرضها عليه ، وهذّبها ، وأضاف إليها مسائل أخرى وصارت تسمى المدونة ، وهي المشار إليها بقول بعض أهل العلم :

أصبحت فيمن له علم بلا أدب ومن له أدب عارٍ عن الدين  
أصبحت فيهم فقيد الشكل منفرداً كبيت حسان في دهبان سحنون  
وبيت حسان الذي لم يرد في المدونة غيره من الشعر قوله :

وهان على مبرة بني لؤي حريق بالبصرة مستطير

ومن فضل الرحلة أنها حفظت جانباً عظيماً من التاريخ ، حفظته الكتب  
التي يودعها مؤلفوها ما شاهدوه في أسفارهم من وقائع وأحوال ، مثل رحلة ابن  
بطوطة ورحلة العبدري ورحلة ابن جبير ورحلة خالد بن عيسى البلوي وغيرها ،  
فأنا نرى في هذه الرحلات أشياء لا نجدتها فيما بين أيدينا من كتب التاريخ .

### أثر الرحلة في ثراء الأدب

للرحلة أثر في ثراء الأدب لا يقل عن أثرها في ثراء العلم ، فكمن قصيدة  
لا ينظمها الشاعر إلا حين يعزم على الرحلة لاقتائها بين يدي ملك أو وزير  
أو وجيه مثل قصيدة :

أدرك بخيلك خيل الله أندلساً إن السبيل إلى منجاتنا درسا

فإن صاحبها أبا عبد الله بن الأبار الراحل من الأندلس قد نظمها استنجاداً  
لأمير تونس وألقاها بين يديه .

ومما يرجع الفضل فيه للرحلة ذلك الشعر الوارد في التشوق إلى الوطن أو  
لأهل وال الإخوان ، ومن هذا الباب قول محمد بن يوسف الدمشقي بتشوقه إلى دمشق  
وهو ييلاد الروم :

بعاد يزيد الجوى والحنينا وبين يعلم قلبي الانينا

فأجري بصافي الدماء العيون فراق أذاب الحشا أدمما

إلى أن قال :

وجاد الحيا أربعا بالشأم وسلم صحبا بها قاطبينا

رحلنا فما تابعتنا القلوب ومصرنا فظلت لديكم رهوتا

وإذا كر بهذه المناسبة إن استاذنا المرحوم الشيخ سالم أبا حاجب كان قد سأل

الى إيطاليا وبعث يرسمه الى بعض اصدقائه في تونس وكتب عليه البيتين:  
لما شككت شط النوى روجي التي ابجيتها عند الاحبة بالوطن  
ارسلت تمنالي لما<sup>(١)</sup> يوتأ عسى تسلو فلا تبغي التعاقبا بالبدن  
أثر الرحلة في تعارف الشعوب

لا ينزل الرجل الفاضل بوطن إلا التي بظانفة من فضلائه ، والشأن أن  
يصف لهم بعض النواحي من حياة قومه العلمية والاجتماعية ، ثم إذا عاد الى قومه ،  
وصف لهم حال الأوطان التي نزل بها ، فيكون كل من الشعوب التي رحل منها  
أو نزل بها ، على خبرة من حال الشعوب الاخرى .  
وقد نهينا على أن الرجل الطيب السريرة ، يتخذ في كل وطن أصدقاء ،  
وهذه الصداقات تعد فيما يربط بين الشعوب الرابطة الوثيقة ، وتعارف الشعوب  
بوسيلة المباء والادباء ، يشير في قوسهم عواطف الائتلاف والاحترام .  
وإذا كانت من أفضل آثار الرحلة عقد رابطة التعارف والمصاطف بين  
الشعوب ، فعلى المستطيعين منا أن يخلصوا البلاد الشرقية بجانب عظيم من رحلتهم  
ولو وجدوا في سبيل ذلك مشاق فوق ما يلاقونه في سبيل الرحلة الى البلاد  
الاجنبية .

### آدب الرحلة

الآداب السنية كآل الانسانية ، فيجب على الانسان الاحتفاظ بها في وطنه ، كما  
يحفظ بها في غير وطنه ، ورأينا بعض الحكماء يوجهون الى الغرب أو من رام  
الغربة عناية خاصة ، فيؤكد عليه في الاحتفاظ بالآداب الشريفة ، فقال بعضهم :  
يا غريباً كن أديباً ، ومن هذا القبيل وصية عبد الملك بن سعود الاندلسي لابنه  
علي عند عزمه على الرحلة الى بلاد الشرق ، تلك الوصية التي يقول فيها :  
اودعك الرحمن في غربتك      مرثقاً رحماً في أوطتك  
فلا تطل حل النوى إني      والله أشناق الى طاعتك

(١) البو جلد الحوار يحشي ثامناً أو تبتاً فيقرب من ام القصيل لتمطف عليه ، فتدر .

وقال :

فليس بدرى أصل ذي غربة  
ونبهة لآداب سامية فقال :

وامش الموبى مظهرأ عفة  
وكل ما ينغضي لعذر فلا  
ولا تجادل حاسداً ابداً  
فانه أدعى الى هيبك

وقال :

وانطق بمبحث العي مستقبح واصمت بمبحث الخير في سكنتك

ومن أدب الراحل أن ينصف البلاد التي ينزل بها فيذكر محاسنها ، وينقبط  
على بلاغها بها أهلها من احتفاء ومؤانسة . ورد تاج الدين بن حويصة السرخسي بلاد  
المغرب ، فسأله سلطان المغرب بمقوب بن يوسف بن عبد المؤمن قائلاً : أين هذه البلاد  
من بلادك الشامية ؟ فقال السرخسي : « بلادكم حسنة أنيقة ، وفيها عيب واحد ،  
فقال السلطان : ما هو ؟ قال : إنها تنسى الاوطان . »

وعن قاموا على هذا الادب الجليل العلامة المقرئ صاحب كتاب نفع الطيب ،  
فقد نظم في الثناء على دمشق أشعاراً ، وتمثل فيها بأشعار ، وما أنشده قول شمس الدين  
الأصدي :

إذا ذكرت بقاع الارض يوماً فقل سقياً جلتى ثم رعباً  
وقل في وصفها لا شيء سواها بها ما شئت من دين ودنيا  
وأختم هذه الحاضرة بأبيات خطرت لي معانيها عند ما تزلت دمشق ،  
واني لست بشاعر ولكنني درست علم العروض ، فأستطيع أن أقول كلاماً  
موزوناً ، وإلى حضراتكم هذه الايات :

زارها بعد نوى طال مداها فشفا قلباً مُجهداً في هواها  
راح نشوان ولا راح سوى أن رأي الشام وحياء شذاها

نظرة في ساحها تذكره      كيف كان العيش يحلو في رباعها  
ما شكاً فيها اغتراباً وإذا      حدثته النفس بالشكوى منهاها

\*\*\*

من بحث العيس في اليد الى      يردى يحمد للعيس سراها  
فمنها قامت نوادي فتية      تبلغ النفس بلبقايام منهاها  
أدب يزهر كزهر بهج      أرشفته السحب من خمر نداها  
خلق لو نصح الحود به      ناصح لا تخذلت منه حلالها  
ملاؤا جلق أنس فأرى      ليها طلق الحيا كفصحاها  
شد ما لافوا خطوباً فانتفضوا      سرخفات العزم طعناً في لهاها

\*\*\*

عزة الامة في نشء إذا      نشبت في خطر كانوا قداما  
وجناحا فوزها استمسكها      يهدي الله وإرهاق قناها  
في عين والمدي إنسانها      فاذا ما فسقت لاقى عمهاها

\*\*\*

رذل الذكر مليك نزه      يغرس الحكمة أو يدني جناها  
أطلق الافكار من أصفادها      ففضت توعى الثريا وسهاها  
خض علوم الكون أحقاباً وسر      في سماها إن تشأ أو في تراها  
لا ترى في الدين إلا مغرباً      بجلاها أو منجها لقداها

\*\*\*

ذكرونا سلفاً قاموا على      منيرة غراء والدمر طواها  
أمة يذكي التقي غيرتها      مثلاً يذكي الندى تار قواها  
شرف لو آنته الشمس في      افقه الأعلى لظنته أباهها

\*\*\*

أومجدي مجد أسلاف إذا غرقت أجفان خائف في كراها  
أمة تلهو بذكرى تالد عن طريف لم تورم عهد صباها

\*\*\*

فابعثوها هما نسمو كما سميت الجوزاء تزهر في سناها  
ما الفخار الحق إلا نهضة أحكم الإيمان والعلم هراها





# دور الكتب

في حلب قديماً وحديثاً<sup>(١)</sup>

سأول :

لم تقف مهمة أجدادنا العظام وصلتنا الصالح عند تأسيس المدارس وتشيد بناها ، بل انهم ذللوا كل عقبة تعوق عن تحصيل العلم وتحول دون الورد إلى مناهله واجتناء ثمراته .

وقد وجدوا أن من أعظم الوسائل لرفع منار العلوم ونشر ألوية المعارف ، تأسيس خزائن الكتب في المدارس التي أنشأوها وتنظيم شؤونها واستنادها إلى أهل الفضل وذوي المعرفة والخبرة بها . فأخذوا في التباري في هذا المضمار ، ونسابقوا في حلبة هذا الميدان ، ووقفوا من الكتب على اختلاف العلوم والفنون ما لو بقي إلى الآن لعد بالملايين .

غير أن الحوادث وللصائب المظني التي حلت بالإسلام في كثير من الأقطار شتت شمل هذه الخزائن وضرقتها كل عجز ، ولما اتبته العالم الغربي

(١) مجلة المجمع : ألقى الاستاذ محمد راغب الطباخ عضو مجمعنا العلمي هذه المحاضرة النفيسة في حفلة افتتاح دار الكتب الوطنية بحلب ، ويرى القارى وصف هذه الحفلة في باب الآراء والأفكار من هذا الجزء .

كان في طليعة أعماله أن وجه نظره وممنه إلى الاستحواذ على هذه الكتب بشق الوسائل فتم له ما أراد ، وأنشأ في العواصم الأوروبية وغيرها مكاتب حافلة اشتملت على آلاف من الكتب العربية والفارسية والتركية ، وكثير منها من النواذر التي لا تجد منها شيئاً في بلاد الشرق ، وأكبوا على ترجمتها ونشرها والاستفادة منها وما زالوا دائبين على ذلك الى وقتنا هذا .

ولو أردنا أن نذكر المكاتب التي شيدها سلاطين المسلمين وأسرؤم وعلاؤهم وذوو اليسار منهم في مختلف الأقطار الاسلامية في الشرق والغرب لاحتجنا إلى مؤلف حافل ، غير أنا بمناسبة الاحتفال في هذا اليوم بافتتاح دار الكتب الوطنية التي هي فرع المجمع العلمي العربي في دمشق احببنا أن نقصر بمحاضرتنا هذه على ذكر دور الكتب في حلب قديماً وحديثاً ، ومنها يعلم أن الشبهاء كانت غنية بهذه الدخائر الثمينة جارت غيرها من البلاد العربية الكبيرة ، ولاريب أن دور الكتب في الأم هي مقياس رفعتها وعنوان تقدمها .

يرشدنا التاريخ الى أن حركة العلم والادب كانت في القرن الاول والثاني ضميقة في حلب وما حولها الا أنها أخذت تنقوى في القرن الثالث للهجرة ، فقد ظهر فيها وفيما حولها حفاظ في الحديث ونبغاء في الأدب ، وحسبك من هؤلاء الوليد بن عبيد الشاعر المشهور المتوفى سنة ٣٨٤

وكانت حلب في ذلك الوقت قد أخذت يحفظ والفر من العمران وازدهرت بالسكان فتطارات اليها أعناق الملوك والامراء ومن جملتهم سيف الدولة بن حمدان فنهض اليها بجيشه واستولى عليها وذلك سنة ١٣٣٣ ومن ذلك الحين عظمت الحركة العلمية فيها وقامت دولة الادب ، وذلك لما كان عليه سيف الدولة من العلم والنضل واغداقه الاموال الطائلة على العلماء والأدباء وصارت الشبهاء في عهده محط الرجال وموقلاً لعظام الرجال ، وأسس فيها مكتبة عظيمة عنها اتبعث أنوار العلوم وتفتحت يتابع الفنون ومنها انتهل المتعطشون .

قال الحافظ الذهبي في تاريخه : كان في خزانة الكتب بحلب عشرة آلاف مجلدة من وقف سيف الدولة بن حمدان وغيره ، وكان من جملة المتولين على هذه

الخزانة ثابت بن أسلم الشيعي المتوفى سنة ٤٦٠ فآلف كتاباً في كشف عوار الاسماعيلية فحمل الى صاحب مصر فصلبه وأحرقت تلك الخزانة .  
وقال الإمام الكبير والوزير الخطير عمر بن العديم في كتابه الانصاف والتحرري في دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري الذي نشرناه على نقص قليل فيه في الجزء الرابع من تاريخنا ( أعلام النبلاء ) : وكان بحلب خزانة كتب في الشرقية التي يجامع حلب في موضع خزانة الكتب اليوم ، واتفقت فتنته في بعض أيام عاشوراء بين أهل السنة والشيعة ، ونبت خزانة الكتب وكان ذلك في زمن أبي العلاء ولم يبق في خزانة الكتب إلا القليل ، ووجدت الكتب فيها بعد ذلك الوزير ابو النجم هبة الله بن بديع وزير الملك رضوان ثم وقف غيره كتباً أخرى ، وقد ذكر أبو محمد عبد الله بن محمد بن ستان الخفاجي ( الشاعر المشهور مؤلف كتاب سر الفصاحة الذي طبع حديثاً في مصر ) هذه الخزانة في قصيدته الثائية التي كتبها من القسطنطينية بداعب أحد أصدقائه بها قال فيها :

أبلغ أبا الحسن السلام وقل له هذا الجفاء عداوة للشيعة  
فلأطرفن بما صنعت مكابراً وأبث ما لا قيت منك ابنكة  
ولأجلسنك للقضية بيننا سيح يوم عاشوراء بالشرقية  
حق أثير عليك فيها فتنة تنسيك يوم خزانة الصوقية  
وهذا أبو الحسن سالم بن علي بن محمد الفقيه الكفرطايي المعروف بالحامي ، وكان من فضلاء حلب وكان سني المذهب وابو محمد الخفاجي شيعي وكان بينهما مودة ومكانة وبهكة من غوغاء الشيعة . ثم ذكر صاحب ابن العديم ما يفيد أن أبا العلاء المعري كان يشق هذه المكتبة في تروده الى حلب .

ماذا حصل في هذه المكتبة بعد ذلك

قال ابن خلكان في تاريخه في ترجمة أبي السعادات المعروف بالمسعودي : حكى أبو البركات الهاشمي قال : لما دخل السلطان صلاح الدين الى

حلب سنة تسع وسبعين وخمسة نزل السعودي المذكور الى جامع حلب وقعد في خزانة كتبها الموقوفة واختار منها جملة أخذها ، لم يمنعه منها مانع ، ولقد رأيت وهو يحشوها في عدل ، وهذه الحادثة مما يؤخذ عليها السلطان صلاح الدين رحمه الله .

ثم أسس بعد ذلك في أواسط القرن السابع القاضي الاكرم جمال الدين بوصف بن ابراهيم وزير حلب دار كتب بحلب وجمع بها ما لا يوصف ، وكان هذا القاضي الوزير من غواة الكتب ومن عشاقها المتفانين في حبها .

قال ياقوت في معجم الادباء : وكان القاضي الاكرم جماعة للكتب حرباً عليها جداً لم أر مع اشتغالي على الكتب ويبيع لها وتجاري فيها أشد اهتماماً منه بها ولا أكثر حرصاً منه على اقتنائها ، وحصل له منها ما لم يحصل لأحد ، وكان مقبلاً بحلب (وبها توفي سنة ست وأربعين وستائة )

وقال ابن شاكر في تاريخه فوات الوفيات في ترجمة القاضي الاكرم : وكان صدرأً منشئاً كامل السؤدد جمع من الكتب ما لا يوصف وقصد بها من الآفاق وكان لا يحب من الدنيا سواها ، ولم يكن له دار ولا زوجة وأوصى بكتبه للناصر صاحب حلب ، وكانت لساوي خمسين ألف دينار وله حكايات غريبة في غرامه بالكتب .

قال الصلاح الصفدي في تاريخه المرتب على السنين ( في جزء منه هو الآن من مخطوطات المكتبة الاحمدية بحلب ) في ترجمة القاضي الاكرم : وله حكايات عجيبة في غرامه بالكتب ، منها أنه وقع له نسخة مليحة من كتاب الانساب لابن السمعاني بخطه يعوزها مجلد من أصل خمسة ، فلم يزل يبحث عنه ويطلبه من مظانه فلم يحصل له ، فبعد أيام اجتاز بعض من يعرفه بسوق القلانسين ، فوجدوا أوراقاً منه فأحضرها اليه وذكر القصة ، فأحضر الصانع وسأله عنه فقال : اشتريته في جملة أوراق وعملته قوالب للقلانس ، فحدث عنده من الم والغم والوجوم ما لا يمكن التعبير عنه ، حتى أنه بقي أياماً لا يركب الى القلعة وقطع جلوسه ، وأحضر من ندب على الكتاب كما ندب على الميت المفقود

المؤسس منه ، وحضر عنده الاعيان يسألونه كما يسأل من فقد له عزيز . والحكايات الدالة على عشقه الكتب كثيرة ١٠٥

وكتاب الانساب هذا كتاب عظيم في هذا الفن ذكره ابن خلكان في ترجمة مؤلفه عبد الكريم بن محمد المروزي وانه في ثمان مجلدات وقد اختصره عز الدين بن الاثير في ثلاث مجلدات والمختصر هو الموجود بأيدي الناس والاصل قليل الوجود . قال ذلك عنه ابن خلكان وهو من اهل القرن السابع . وهذا الكتاب يحتاج اليه مزادلو علم الحديث والتاريخ والادب والجغرافية فانه يوفقك على الصواب من اسماء الرجال والبقاع الى غير ذلك من الفوائد ، يوجد الان منه نسخة قديمة في مكتبة كويريلي زاده محمد باشا في الاستانة رقمها ١٠١٠ . وقد سبقنا الالمانيون الى طبع هذا السفر النفيس عندهم بالقوتوغراف (المصور الشمسي) وجاء منه نسخة الى حلب الى بعض باعة الكتب بيعت آخرأ الى ما اظن الى مكتبة المدرسة الطلونية ، ولا أدري أطبعه الالمانيون على هذه النسخة الموجودة في الاستانة ام على غيرها ، وعلى كل فان نسخه الاصلية نادرة الوجود .

ومن جملة المكاتب العظيمة التي اصبحت في حلب مكتبة العلامة مشرف الدين الشيخ عبد الرحمن المعجمي باني المدرسة الشرفية وراء الجامع الكبير واشتهرت عند الناس بالاشرفية وهو خطأ ، وكانت وفاته سنة ثمان وخمسين وستماية في وقعة التبر لما دخلوا حلب .

قال مترجموه : وقد وقف الواقف رحمه الله تعالى على هذه المدرسة الكتب النفيسة من كل فن من حديث وتفسير وفقه ونحو وغير ذلك ، فمن كتبها مسند الامام الشافعي والامم وجميع كتب الامام الشافعي وكتب الاصحاب كتفسير الشاذلي وغيره من التفاسير والنهاية والحاشي الكبير والاهانة والتممة والذخائر والشامل ، ( الى ان قال ) وكان بها اربعون نسخة من التنبيه وجميع كتب النزالي وكانت اسماء الكتب مثبتة عند اقاربه في درج كبير فذهب في عنة تيمر .

ومن دور الكتب في حلب جامع منكلي بغيا المعروف الان بجامع الرومي في محلة باب قسرين أنشئ هذا الجامع سنة سبع وستين وسبعماية هجرية .

قال أبو ذر في تاريخه كنوز الذهب : ووقف منكلي بقا كتباً تقيسة لهذا الجامع ومنها التفسير للقرطبي والتبصرة لابن الجوزي وجمع الاحباب للحسيني وغير ذلك من الكتب النفائس وقد ذهب نصف مجمع الاحباب وكان كله في مجلدين فذهب مجلد واحد وهو كتاب جليل ترجم فيه الاولياء والعلماء وتكلم فيه على طريق الصوفية ، ووضع الكتب في خزائن الجامع المذكور . وهذه الخزائن متقنة محكمة فيها الصنائع العظيمة على طريق التجارين وبلغني ان الشيخ فربكاً وهو من الصالحين كان فجار ذلك .

والان لا خزائن هناك ولا كتب وقد رأيت منها تفسير القرطبي في بعض البيوت وهو في ( ١١ ) مجلداً من اصل خمسة عشر وقد بيعت هذه المجلدات منذ عهد قريب ، ويطلب على الظن ان هذه النسخة النفيسة اصبحت الان في خزائن المكاتب الغربية .

ومن دور الكتب دار الحديث التي أسسها أحمد مطاف باشا من غلة دراهم قدرها عشرة آلاف دينار ذهباً وقفها في سبيل الخيرات وكتاب هذا الوقف محروس سنة ١٠٠٤ هـ ودار الحديث هذه كانت شرقي تربة الواقف الكائنة في محلة الجلوم الملاصقة للخان المعروف بخانات المطاف ، وقد ذكر في كتاب وقفه ثمانين كتاباً خطياً وقفها على دار الحديث هذه ، وهي كتب متنوعة من جملتها جلدان من لسان العرب وصل فيها الى حرف الزاء وقد تبعت هذه الكتب واستبدلت هذه الدار بدار في محلة وراء الجامع دعيت بدار الحديث أيضاً لكنها في عداد المدارس المعطلة التي لا تستفيد منها الامة .

هذا ما عثرت عليه في هذه العجالة من دور الكتب في الشهباء قبل الالف ، وكلها أصبحت أثراً بعد عين ونحن نلقي تبة ذلك على أسراء ذلك العصر وعلمائه فانه لولا تهاونهم وسكونهم لحفظ الى هذا الوقت ذلك التراث الجيد ولصكنا فنتطلف منه ثماراً يانعة ولكن الى الله المشتكى .

ما أنشئ من دور الكتب بعد الالف

من أعيان الشهباء في أوائل القرن الحادي عشر رجل يقال له الشيخ أحمد

القاري وكان خليفة للشيخ أبي بكر صاحب المزار المشهور الذي يعد اليوم في جملة آثار حلب القديمة وهو شرقي حلب الى شمالها .  
 وكان هذا الرجل ذا تدبير وحسن رأي وصلاح ومعرفة وسخاء يد محبواً الى الاسراء الذين يردون حلب والى الاهلين فأغدقت عليه الاموال ، فبنى تلك التكية المعروفة الى اليوم بتكية الشيخ أبي بكر ووقف لها عقارات ومزارع ونظم امورها على ما يطلبه ذلك العصر ، ومن جملة ما أسسه فيها مكتبة قيمة فيها مختلف العلوم والفنون ، إلا انها كانت كثيرها عرضة للناهبين ومنذ عشر سنين كان فيها بقية قليلة في خزانة تجاه ضريح الشيخ أبي بكر ، ورأيت في جملة هذه البقية مصحفاً كريماً على جميعه بالذهب وربعة أي أجزاء من القرآن العظيم وكل جزء منه على كذلك ، ولا أكون مبالغاً اذا قلت لكم ان هذا المصحف وتلك الاجزاء تساوي اكثر من ٣٠٠ ليرة ذهبية وقد فقد ذلك كله ، وتلك البقية من الكتب استلمتها دائرة الاوقاف منذ سنين فلائل وأضاعتها الى كتب مكتبتها .

وهذا الرجل هو الشيخ أحمد القاري وقف كتباً قيمة أيضاً على التكية المولوبة ، وهي مما بني في اواسط القرن العاشر وكان هو مولوداً أيضاً ، وأظن ان هناك اشخاصاً آخرين ممن تولوا أمر هذه التكية وقفوا فيها كتباً كثيرة إلا انها ايضا كانت معرضة للنهب اعدم انتظام أمرها فقد منها الكثير ، وفي فهرست كتبها الاخيرة عدد الكتب يناهز ١٢٠٠ ولما أحصتها دائرة الاوقاف بلغت ٩٥٠ كتاباً ، إلا ان المهم من هذه المكتبة لا يزيد على خمسين كتاباً وهي اليوم بحالة لا يستفاد منها مطلقاً وذلك مما يؤسف له ، وقد قلنا ان تبعة ذلك ملقاة على عاتق اسراء حلب وعلمائها فهم المسؤولون عن ذلك كله ( فكلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته ) .

وفي القرن الثاني عشر في اواسطه وأواخره أسس في الشهباء خمس مكاتب الاولى أسسها أحمد افندي طه زاده وتعرف اليوم بالمكتبة الاحمدية وهي في مدرسته التي أنشأها في عملة الجلود ، تحوي الفا واربعماية وخمسين كتاباً تبلغ

ثلاثة آلاف مجلدة كلها مخطوطة ، وفيها الكثير من النفائس ، وبالرغم عن تشديد الواقع في أسرها فإنها لم تسلم من ايدي العابثين وعلى ما اقدر انها نقصت من حين إنشائها الى الان نحو ١٥٠ كتابا منها نحو السبعين فقدت منذ خمسين سنة الى الان ، وهي بالنسبة الى غيرها تعد محفظة بالجملة . ومن جملة نقائسها اسطرلاب نحاسي يدبم الصنعة محكم لا تقل قيمته عن خمسين ليرة ذهبية ، وفيها كرتات قديمتان من صنم اوربة الواحدة سماوية والاخرى ارضية بلغني ان زائرة ايطالية عالة بالآثار اكدت ان هاتين الكرتين قل ان تجد كرة معاصرة لها في المتاحف الاوربية .

الثانية : اسمها المرحوم عثمان باشا الدوري بافي المدرسة العثمانية وازاد اليها المرحوم نبي الدين باشا المدرس الحلبي كتبها مخطوطة ومطبوعة وذلك في اوائل هذا القرن ، وفيها من وقف هذين العظيمين كتب من النفاسة بمكان ولم تسلم ايضاً من ايدي الانيمة لعدم انتظام امر قوامها ، وبعض هذه الكتب لقلة الاهتمام بها اصابها الامطار فالتصقت اوراقها بعضها ببعض ، والغلاصة ان الخلل في هذه المكتبة ليس اقل من الخلل الواقع في اوقافها وهذا مشاهد معلوم .

الثالثة : اسمها المرحوم احمد افندي الكواكبي في مدرسته التي انشأها في الجلولم ، وكانت لا تقل اهمية عن المكتبة الاحمدية ، وقد بددت كلها وبضم اجزاء منها آل الى مكتبة الاوقاف العامة ، وقد كان فيها عدة كتب هي من تأليف نبي الكواكبي منها ذيل لي تراجم الرجال لمحمد افندي الكواكبي ورحلة قسبة الى احمد افندي الكواكبي جد احمد افندي الواقف .

الرابعة : مكتبة اسمها الشيخ محمد البغشي شيخ سجادة التكية الاخلاصية في محلة البياضنة ، وزاد فيها بعد ذلك الشيخ ابو الوفا الرفاعي جد نبي الرفاعي القاطنين بها الان ، ولم تسلم كثيرها من المكاتب بل امتدت اليها بعض ايدي ولم يزل منها جملة حسنة في خزانة آل الرفاعي ، وهي غنية بكتب الحديث والرجال وفيها ما لا يوجد في غيرها ، وقد كنت نشرت نقائسها في مجلة مجتمعنا العلمي العربي .



الخامسة : المكتبة المارونية وهي في دار البطريركية المارونية ، وكون تأسيسها منذ قرنين اقله ظناً لا يقيناً .

ولها من النفائس في كتب الادب : مباحج الفكر ومناهج العبر لمحمد ابن ابراهيم الانصاري المعروف بالطواط المتوفى سنة ثمان عشرة وسبعمائة ، ومن هذا الكتاب عدة نسخ في الاساتذة وهو جدير بالطبع .

وفي القرن الثالث عشر انشئ في المدرسة البائية المعروفة بالصلاحية ايضا مكتبة فيها الان نحو ٧٠ كتاباً ، وكذلك في المدرسة المنصورية في محلة افرايرة انشأها الشيخ منصور السرميني وقد تبعت وحضرت البقية الباقية منها سنة ١٣٤٥ الى مكتبة الاوقاف .

ومكتبة انشأها اسماعيل باشا واقف المدرسة الاسماعيلية في مدرسته ، وقد بقي منها بقية أحضرت أيضاً إلى مكتبة الاوقاف .

ومكتبة في خزانة جامع السكاكيني في محلة القصيلة بقي منها بقية أحضرت الى مكتبة الاوقاف .

ومكتبة في خزانة المدرسة الطرنطانية في محلة محمد بك في باب النيرب عند بني الباونجي لم يزل منها بقية إلى اليوم .

ومكتبة في المدرسة القرناصية في محلة الفرايرة بددت أيضاً وأصبحت في خبر كان .

ما أسس من المكاتب في هذا القرن

مكتبتان هاتان وقهما رجلان جليلان في هذا القرن :

الاولى : مكتبة وقفها محمود ألتدي الجوار ، وضمت بعد وفاته في الجامع الكبير .

والثانية : مكتبة الحاج عبد القادر الجابري بقيت في بيته بعد وفاته ، ثم

أحضرت المكتبتان منذ خمسة عشر عاماً إلى المدرسة الخسروية ثم نقلتا إلى المدرسة الشرقية التي تقدم ذكرها ، وأضيف إليها ما تقدم ذكره من البقية الباقية في تكية الشيخ أبي بكر والمنصورية وجامع السكاكيني والمدرسة الاسماعيلية واشهرت لها بعض الكتب المطبوعة لتألف من ذلك مكتبة حسنة تابعة لإدارة

الأوقاف ، لكنها في حاجة كبرى إلى الزيادة مما طبع في مصر وأوربة وغيرها ليكون منها مكتبة حافلة يوتوى منها رواد مناهل العلم ، نعى أن تلي دائرة الأوقاف نداءنا ونقسم لها في ميزانيتها كل سنة مقداراً حسناً يكون سبب نموها وانتظامها .

ومنذ سنوات وقف الشيخ أحمد الصديق رحمه الله كتباً مخطوطة ومطبوعة على مدرسة في محلة قارلق ولم تنزل هناك إلى الآن .

وآخر مكتبة أسست في الشهباء هي مكتبة فرع المجمع العلمي العربي بدمشق وكان ذلك منذ أربعة عشر عاماً أرسل اليها المجمع من تأسيسها إلى الآن نحو ١٩٠٠ مجلد ، وفي هذه السنة أرسل اليها ١٢٠٠ كتاب فصار فيها جملة سالحة إلا أن المكان الذي كانت فيه وهو تلك الحجرة التي هي في الطابق العلوي في خان الكرك التابع لدائرة الأوقاف كان غير صالح لوضع مكتبة فيه وذلك لضيقه وعدم ارتفاع سقفه ، والإنسان يضيق به ذرعاً بعد تقوؤه . فيه قايلاً وتتميز به السامة فيفادر المكان وهو لم يشف غليلاً ، وأمكنة المطالعة بفضفي أن تكون فسيحة الأرجاء مرتفعة السقف ينشرح لها الصدر وترتاح بها النفس ليكون ذلك سبباً للدأب في المطالعة والاسترسال فيها من غير ملل .

وطالما ذاكرت المجمع العلمي بدمشق وفي حلب عند حضور رئيسه وبعض أعضائه عن حالة هذا المكان فلم يجد ذلك شيئاً ، إلى أن عين محافظ حلب المحبوب الامير مصطفى الشهابي . فذاكرته في ذلك لأول زيارتي له في فندق بارون على اثر حضوره فوجدت منه أذناً صاغية وقلباً مليء شغفا بهذه المشاريع التي فيها مستنار العقول وحياة البلاد .

ولم نغف همه المحافظ حفظه الله عند نقل هذه المكتبة من مكانها الضيق الى هذا المكان المتسع الجبل بل سعى لدى المجلس البلدي بأن يضع في ميزانيته مبلغاً وافراً في كل سنة لبنني داراً عظيمة للكتب ويتباح منه ما يطبع في مصر وغيرها من الكتب العربية وغير العربية ليجد المطالع فيها جميع ما يحتاج إليه

وما يشفي غليله ، ولا ريب أن هذا العمل مأثرة كبرى لحفاظنا بحفظها له التاريخ ويخلد له جميل الذكرى . والمجلس البلدي يكون في عمله هذا قد اقتدى بالمجالس البلدية في البلاد الأوروبية فان لها مكاتب عظيمة هي في تقدم مستمر .

ولم نسمع في الشرق للمجالس البلدية مكتبة إلا للمجلس البلدي في الاسكندرية فان له مكتبة قيمة اشتملت على آلاف من المخطوطات والمطبوعات وهو في كل سنة يزيد في عددها وتنظيمها .

فاذا أبرز المجلس البلدي في حلب هذا المشروع لحز الوجود وقام بهذا العمل الحميد يكون المجلس الثاني الذي قام في الشرق بأمثال هذه المشاريع النافعة للبلاد ، وهو الاول من نوعه في البلاد الشامية .

والذي نرجوه من المجلس البلدي ومن دائرة الاوقاف إذا أحبا أن يكون لنا مكاتب تدر بالفائدة الكبرى على هذه البلاد أن لا يقتصر على ابتاع ما طبع وما يطبع فحسب بل عليها أن يأخذ ما تعظم الفائدة به من آثار أسلافنا التي نسربت إلى مكاتب الغرب والاستانة ومصر بالمصور الشمسي ويستردا بضاعتنا البينا .

وأهم هذه الآثار بالنسبة إلى حلب بل إلى بلادنا الشامية جميعها ذلك التاريخ العظيم وهو « بنية الطلب في تاريخ حلب » الامام الكبير والوزير الخطير والمؤرخ الشهير الشاعر الناصر ذي الخط الجليل الذي ضرب به المثل وقوه به شعراء عصره كالدين عمر بن أحمد بن المديم الحلبي المتوفى سنة ٦٦٠ وقد أفردت لهذا الرجل العظيم ولتاريخه كتاباً خاصاً في سبعين صحيفة .

ومعظم تاريخه بخطه في ثمان مجلدات في سراي طوب قيو في الاستانة وجزء منه في لوندرة وجزء في باريس وثلاثة أجزاء في مكتبة أياصوفية في الاستانة وهي بخطه أيضاً وقد سيقنتا الحكومة المصرية الى أخذ هذه الاجزاء بالمصور الشمسي ، وقد كان المرحوم أحمد زكي باشا أرسل لي سبعم أوراق أخذها عن

النسخة المصرية وما هي أعرضها على أنظاركم الكريمة ، وجوز من هذا التلخيص العظيم في إحدى مكاتب الموصل قد استنسخناه وفيه ترجمة نحو عشرين شاعراً من شعراء الفرة قل منا من يعرف واحداً منهم الى غير ذلك من الفوائد التي اشتمل عليها هذا الجزء وما هو بين أيديكم ، وباسترداد هذا الكتاب وأمثاله حظ نحن في حاجة اليه وإبرازه لعالم المطبوعات نؤدوا علماً بمجد آبائنا ومعرفة ببلادنا الشامية وما دثر منها والاحوال المدنية والعمرانية التي كانت عليها ، ونقف على ما أنبته من الرجال وما قاموا به من جليل الاعمال وما خلده من الآثار الى غير ذلك من جلي الفوائد وعظيم العوائد ، وذلك ولا ريب من أعظم البوامث لنهضتنا واستيقاظنا من رقدتنا ، واسترجاع سالف عزنا ومجدنا ، والله الموفق ، والسلام عليكم ورحمة الله .

في ١٨ جمادى الاولى سنة ١٣٥٦

في ٢٦ تموز سنة ١٩٣٧

محمد رافع الطباخ



# آراء وأخبار

## وفاته

السيد مصطفى صادق الرافعي عضو المجمع العلمي العربي

ينتمي المجمع العلمي الى أعضائه أعلام الادب العربي الكبير السيد مصطفى صادق الرافعي الذي استأثر به ربه يوم الاثنين من شهر صفر الثمزم ١٣٥٦ ١٠ - ٥ - ٣٧ وقد انتخبه المجمع العلمي عضواً مراسلاً سنة ١٩٢٨ وهو من أعلام العرب في العلم والأدب قضى حياته في خدمة لغته وآدابها شعراً ونثراً في الصحف والمجلات والمصنفات الممتعة فهو من زعماء الانشاء المحافظين على أسلوب البلقاء الايناء من السلف وبذلك عاش من الكرام الكتّاب الذين ارتقت بهم الكتابة فقتربت اللغة من بيان العرب بمقدار ما تجافت بها عن مضاجع المعجمة وستؤبته المجلة تأبيناً مفصلاً في الجزء التالي طاب ثراه ورحمه الله .

## أغلاط دائرة المعارف الاسلامية

اطلقت في العدد التاسع من المجلد الثاني من دائرة المعارف الاسلامية المصرية حديثاً بمصر على ترجمة السيد محمد الآلومي المفسر الشهير وهي من إنشاء الدكتور بروكلمان المستشرق المعروف وقد وجدت فيها غلطات تاريجية

لذلك أحببت أن ألاحظ على كاتبها ، وليس لي من قصد غير خدمة العلم ، قال الدكتور بروكلمان :

« ولد الآلومي عام ١٢١٨ هجرية » ، والصحيح أن ميلاده في سنة ١٢١٧ هجرية مثلاً هو المذكور في ترجمته في كتابه المسمى بكشف الطرة عن الفرة نقلاً عن كتاب جلاء العينين في محامكة الاحمدين تأليف نجل المترجم - ثم قال : « إن الآلومي تنازع هو والباشا التركي ( يعني والي بغداد ) ورغب أن يدافع عن نفسه وعن حقوقه في عاصمة الدولة العلية ، فرحل إليها في جمادى عام ١٢٦٢ هجرية وبلغ صامسون بعد أن مرّ بالموصل وديار بكر ثم ركب البحر الى الاسطانة ، ولما لم يقابله الصدر الاعظم بما هو أهله عاد أدراجه الى موطنه دون أن يحقق غرضه » هذا أيضاً خلاف الواقع إذ الآلومي نفسه ذكر في رحلته التي سماها « زهرة الالباب وغرائب الاغتراب » اجتماعه بالصدر الاعظم رشيد باشا وذلك بواسطة شيخ الاسلام حينئذ عارف حكمة ، وقد قابله الصدر بما يليق بمقامه من التجلية والاحترام وقضى له ما ربه وأغراضه كلها وقد رجع من عنده وهو بلهج بالثناء عليه وعلى شيخ الاسلام المذكور - ثم قال الكاتب : « وقد كتب أحد أقبائمه واسمه نعمان خير الدين الآلومي وكان يقطن كذلك في بغداد دفاعاً عن ابن تيمية عنوانه جلاء العينين في محامكة الاحمدين ( بلاق عام ١٢٩٨ ) ذكر الكاتب ان مؤلف الكتاب المذكور هو أحد أقباء الآلومي بل الصحيح انه نجل السيد محمود الآلومي المترجم ، وذكر الكاتب أيضاً أن مصنفه المذكور مطبوع في بلاق عام ١٢٩٨ وهذا تحريف من الكاتب والصحيح بولاق كما ذكره العلامة مؤرخ مصر نبي الدين المقرئ في المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار والسيوطي في حسن المحاضرة وكما هو مشهور عند العامة فضلاً عن الخاصة ، ثم ذكر الدكتور بروكلمان ان تفسير الآلومي المسمى بروح المعاني طبع في ثمانية اجزاء بمطبعة بلاق فيما بين عامي ١٣٠١ و ١٣١٠ هـ ، والحقيقة ان تفسيره طبع بمطبعة بولاق في تسع مجلدات ضخمة لا في ثمانية اجزاء ، وقد وهم أيضاً في قوله : بين عامي ١٣٠١ - ١٣١٠ بصيغة المثني ، والحال ان مدة استغراق

طبع التفسير المذكور كانت تسع سنوات فكان الاصح ان يقال بين أعوام  
كذا أو بين سنتي كذا .

طرابلس الغرب : على محمد الفقيه حسن

## رجاء

الى أعلام العربية والاستشراق

رجعت في معنى ( الميرار ) الذي عده المرزوقي في كتابه ( الأزمئة والامكنة )  
من جملة بيوع العرب في الجاهلية إلى المعاجم الانية :

- ١- تاج العروس ( شرح القاموس ) .
  - ٢- لسان العرب لابن منظور .
  - ٣- الصحاح للجوهري .
  - ٤- المجمل لابن فارس ( نسخة مخطوطة كاملة في المكتبة الظاهرية ) .
  - ٥- الجهرة لابن دريد .
  - ٦- الفائق للزمخشري .
  - ٧- أساس البلاغة .
  - ٨ - النهاية لابن الاثير .
  - ٩ - المصباح المنير .
  - ١٠ - المختص لابن سيده .
  - ١١ - التهذيب للازمهرى ( نسخة مخطوطة في المكتبة الاحمدية بحلب ) .
- ثم تحررت في شروح الحديث وكتب الفقه ، مظنة أن أجد فيها تعرضاً له  
في صدد كلام عن البيوع الفاسدة أو النهي عنها فلم أجد أحداً من أصحاب  
المراجع المذكورة قد ذكر هذا الضرب من البيع ، ولم يتعرض له غير صاحب  
محيط المحيط ( وقد روينا عبارته ) ولم أعتد بعد الى المصدر الذي استقي منه هذا  
التفسير .

فالرجو من علماء العربية عن عندهم معاجم مخطوطة أو مطبوعة إذا عثروا على النص الموثوق في ذكر بيع السرار ان يتكرموا فيوثقوني بالبيان الشافي عن طريق المجسم العلمي العربي بدمشق ولهم الشكر الجزيل .  
غرة صفر سنة ١٣٥٦

سعيد الوفاقي

## حفلة افتتاح دار الكتب الوطنية بحلب

عشية الاربعاء الواقعة في ١٩ جمادى الاولى سنة ١٣٥٦ ( ٢٧ تموز ١٩٣٧ ) اقيمت في عاصمة بني حمدان حفلة افتتاح دار الكتب الوطنية ، وقد ضمت جمهوراً من العلماء والاعيان ورجال الصحافة .

وعند افتتاح الحفلة ألقى الاستاذ سامي الكيالي كلمة مفيدة عن دار الكتب ومساهمة دار الامانة ( البلدية ) في إخراج هذه الخزانة من صحنها القديم ، ثم ألقى الشيخ علي الكحل فيم خزانة الاوقاف كلمة عن خطورة للكتب ومكانتها عند الامم العربية والغربية ، ثم أنشد الاديب شارل الطوري قصيدة في الموضوع ، وعلى أثره نهض مؤرخ الشهباء ومدير المدارس العلمية فيها الشيخ محمد راجب الطباخ وألقى كلمة منمعة عن خزائن الكتب الحلبية وعن تسابق الحلبيين في اقتناء نفائس الكتب وإنشاء الخزائن لها ، ولم ينس الاستاذ الفاضل وهو من أعضاء مجمعا العلمي ، ان بنوه بشأن المجمع العلمي وبذكر يده البيضاء في تنشيط العلم والعلماء في حلب وذلك بإنشاء فرع له فيها يضم أفاضل علماء الشهباء ، وإنشاء خزانة كتب تشتمل على نفائس الاسفار .

وبعد ان ألقى الاستاذ الطباخ محاضرته التي نشرناها في هذا الجزء التي محافظ حلب وعضو مجمعا العلمي الامير مصطفى الشهابي كلمة وجيزة قال فيها : « نحن هنا في حرم الادب يسيرون عن السياسة والتحزيمات وضوائها المتغصنة » . ثم قال : ليس الفضل لي وحدي في إحياء هذه المكتبة بل لرئيس البلدية والمجلس



البلدي واعضاء فرع المجمع العلمي في حلب ، وهم الذين عطفوا على هذا المشروع العلمي وسامحوا في إحيائه ، والذي أرجو ان يوفقنا الله لتحقيقه ذلك القرار الذي اتخذته المجلس البلدي بفتح اعتماد بمشرة آلاف ليرة سورية في موازنة بلدية حلب لانشاء دار كبيرة للكتب وردعة لالقاء المحاضرات .

وذكر انه أخذ وعداً صادقاً من الاستاذ سعد الله الجابري وزير الداخلية بأن يضع في موازنة المعارف لعام ١٩٣٨ عشرة آلاف ليرة سورية لهذا المشروع ايضاً . والفضل الذي يعود لمحافظة حلب ، وهو عضو بمجمعنا العلمي ، يعود بالتالي للمجمع العلمي نفسه ، فهو الذي أنشأ خزانة الكتب الحلبية ، وقام بنفقات موظفيها مدة أربعة عشر سنة ، ولا يزال بها قائماً ، وأمدعها بنفائس الكتب ، وآخر ما أرسله هدية اليها ألف ومائتان من المجلدات .

ولقد كان في نية المجمع عند توفر المال ان ينقل خزانته الحلبية الى دار فخمة في سرة المدينة تليق بمكانة العلماء وبتاريخ الشهباء وقد كتبت أمانة سر المجمع الى الحكومة بذلك مراراً ، ومحافظ حلب آخر من راسلته في ذلك فالحمد لله الذي قدر للمجمع العلمي على يد أعضائه ان يرفع من شأن خزانة الشهباء ، وان يجعلها مثابة للناس وينفع بها العلماء والادباء .



# مطبوعات حديثة

السيد رشيد رضا

أو إخوان أربعين سنة

تأليف

الامير شكيب أرسلان من أعضاء المجمع العلمي العربي

١٣٥٦  
مطبعة ابن زيدون بدمشق  
١٩٣٧

إن الحلية الخاصة التي تحلى هذا الكتاب بها هي سجية الوفاء للاصدقاء ، وهي الصفة التي امتاز بها مؤلف هذه السيرة الممتعة الأثير شكيب أرسلان ، لأنها تشتمل على نحو الف صفحة في ذكر مناقب السيد رشيد رضا الذي يقول عنه الامير في المقدمة مانصه : « وبعد هذا فلا شك في أنه إذا وزن عمل كل من أعيان هذا العصر بل من أعيان كل عصر كان السيد الامام محمد رشيد رضا من أرجحهم ميزاناً ، وأوفاهم قسطاً لا يبعد ذلك الا من رأت عليه الضلالة أو أعماه الغرض ، وإني لأجد نشر مناقبه والتنبؤ به بقدره والاشادة بحسناته الكثيرة والانارة لبراهينه الساطعة من عزائم الله الموجبة وفوائض المبرمة عملاً بقوله تعالى : « وزنوا بالقسطاس المستقيم » .

ان سير العظماء تشبه قصائد الرثاء ، ووجه الشبه بينهما ان مؤلفي هذين الصنفين لم يقصدوا من ورائها جزاءً ولا شكوراً ، فهما آيتان ناطقتان بالوفاء من آيات الثناء ، وجانب الخسارة المادية في كتابة السير يثقل في معظم الاعيان جانب الربح ، فالدلالة على وفاء الامير لصديقه أدبية ومادية معاً ، وقد أشاد بفضائله حياً وميتاً في كتاب حاضر العالم الإسلامي واعاد ما نشره فيه في الصفحة ١٤ من هذه السيرة تحت عنوان ( ما قلته في السيد رشيد ) .

وقد جمع الامير في تاريخ الاستاذ الرشيد جميع ماله علاقة بها فن تقيظ الامير للوحي الحمدي الى مقدمة السيد رشيد لكتاب الارشادات اللطاف ، الى ما كتبه في المنار عن حديثهما مع أعضاء جمعية الامم ، وعن وفد الصلح والسلام ، ومن جملة فصول هذه السيرة ما قيل في السيد الرشيد عند وفاته في الجرائد والمجلات ، أو ما ألقى في الحفلات .

وفي السيرة كثير من الابحاث التاريخية السياسية منها بحث المشائخ العربية التي نصها الطاغية جمال باشا في دمشق وبيروت ، وكيف غدر بالسيد عبد الحميد الزمراوي ، واستحضره الى المحاكمة في الدهوان العرفي بعالية بعد أن كان من أعضاء مجلس الأعيان ، وقد أراد الزمراوي رحمه الله أن يقنع جمالاً ببراءته ويستل سخيمته صدره وذكره بما كان بينهما من عهد فقال له : إنه ليس له مدخل في الامر وانه لن يصيبه أذى إذا كان الدهوان العرفي يحكم ببراءته ، قال الأمير : وحقيقة الحال أنه كان من البداية بنوي البطش به ، وقد كنت بذلت كل ما في وسعي لأجل إنقاذه وإنقاذ زعماء السوريين الذين ساقهم جمال الى المشنقة برأيه الافين لاسر يريده الله ، وتكلمت مع أنور عندما زار سورية خفية عن جمال ، واغضب ذلك جمالاً ، ولم أبال غضبه ، وسعيت لدى قنصل المانية في دمشق سعياً حثيثاً بعد أن استحلقتني على كتان السر حتى يبرق إلي سفارة المانية في الأستانة لعلها تتوسط في الامر وتكفي الدولة شر الشقاق بين العرب والترك . . . ولا بد أن تكون الاوراق المحفوظة في سفارة المانية بالأستانة تشمل على ما أنضبت به الى قنصلهم بدمشق . . . الى ان يقول :

أما السيد رشيد فكان الاتراك دعوه الى التقام معهم وان يتولى منصباً شرعياً في الاسنانة فخاف أن يكون ذلك استدراجاً وأبى قبول دعوتهم ولم يقع في الخطأ الذي وقع فيه الزهراوي عفا الله عنه .

لقد كان الامير شكيب من أشرف من كان حول جمال من رجال العرب دفع الله به كثيراً من الشر والاذى ، وما كان يدافع عن الدولة العثمانية الا دفاعاً عن العروبة والاسلام وخوفاً عليهما من مثل الانتداب والحماية والاستعمار وكان شبان العرب وأعضاء المنتدى الادبي في الاسنانة لا يرضون عن هذه السياسة الشكيبية وهي سياسة اسلامية خالصة ، بل كنا نعدّها انتصاراً للترك على العرب ، ولكنه كان غلطاً في عقيدته ومشفقاً من الاستعمار على عروبتهم ، ولا أزال ذاكراً زيارتي له في الفندق مع الشهيدين عبد الكريم الخليل رئيس المنتدى وسيف الدين الخطيب وقد قلنا له : ان العرب لا يطلبون سوى الإصلاح شيئاً ، وهل في طلبه عداً للترك او خلاف ، فأجابنا : ان هذا الطلب ، والدولة في جهاد واعدائها بالمرصاد ، ليس شيئاً من النجدة والانصاف ، وقد أعرب في هذه السيرة عن فكرته هذه بقوله ص ١٥١ : « اذ كنت ممن لا يميز المضي في الاختلافات الداخلية الى ذلك الحد الاقصي حينما يكون البلقانيون على أبواب الاسنانة عاصمة الاسلام »

مسودة مأثورة للامير شكيب العربي واخلاص منه لامة لا تبادله هذا الاخلاص ، ولو بقي العرب مع الترك يسفكون دماءهم الى آخر الحرب لما كان نصيبهم في هذه الايام غير نصيب الاكراد ، ولما كان لعمرى جزاؤهم على ما أبلوهم من البلاء الحسن غير التبرك والاحاد .

وقد جمع الله العرب أخيراً على معرفة هذه الحقيقة ، فإن الامير أمتع الله ببركاته حياته بقول في حاشية له ص ٤٣٦ ما نصه : « بعد ان رأيت ما رأيت من هدم أقدرة الاسلام اقتنعت بأن خطر الافرنج على العرب أصبح أهون من خطر ملاحدة الترك . »

وقد علق الامير على هذه السيرة حواشي مفيدة سيرة وتاريخية وسياسية

ولغوية وأدبية تذكر مجواشي حاضر العالم الاسلامي التي فضلت منها ، والحلة لا تحلي في الدين مالم تستكمل حاشيتها وردنها ، ومن أين لي أن أحصي ما أفدته من مطالعة هذه السيرة المباركة ، لولا بعض هفوات من الطبع قلما خلا منها كتاب طبع في الشرق ، وقد تحدث والمطبعة دائرة كنقص بعض الحروف مثال ذلك ص ٤٣٤ جاء بالهاء وهي بالتاء المثناة ، أو كزيادتها نحو ( فضله ) ص ٤٣٩ في ( فضله ) بالصاد المهملة ، وجاء في حاشية ص ٣٤٥ ص ٧ ( واقتصر صاحب المصباح ) ولعل تقمة القول ( على الدعارة ) ، وفي الصفحة عينها ص ١٦ : القصية والصواب القصيا ، وأثوت به أناوة وإثابة ، والصواب بالتاء المثناة في الالفاظ الثلاثة كما في لسان العرب .

وجاء في صفحة ٤٤٣ : فنصل المعجم غيرة الملك ولعله عين الملك ، وفي السطر الثالث من حاشية ص ٤٤٨ اللحي وصوابه اللخي ، وفي ص ٤٨٩ : لكل مجتهد أجر إن أخطأ وأجر إن أصاب ، والصواب وأجران إن أصاب ، وفي ص ٤٩٣ : يعضون نار الشقاق ، والصواب يعضئون ، وفي ص ٥٨٠ : ما يناسب المعركة العجيبة الذي ذكرتموه ، والصواب التي ذكرتموها . وقد نشرنا هذه الهفوات قبل أن تطبع المطبعة فهرس التصويبات ولعلها تكون فيها ، فبارك الله بأمهر البيان مؤلف هذه السيرة الطيبة ، وأعز به دولتي العرب والادب معاً .

التوضي

## ابن سينا

## الأستاذ جميل صليبا

١٥٠ ص متوسطة — مطبعة ابن زيدون بدمشق

هذه هي الحلقة الخامسة من السلسلة الفلسفية التي يعنى بنشرها مكتب النشر العربي بدمشق الذي أنشئنا في مجلتنا<sup>(١)</sup> على همة رجاله الثلاثة ونشاطهم في نشر عيون الآثار ، والحلقات الأربعة المتقدمة على هذه الحلقة هي : ابن خلدون والغزالي وابن طفيل للدكتورين جميل صليبا وكامل عياد ، والرابعة من افلاطون الى ابن سينا ، والخامسة ابن سينا التي نكتب عنها هذه الكلمة ، وكتاتهما للدكتور جميل صليبا رئيس التعليم الثانوي ومفتشه في وزارة المعارف .

الأستاذ جميل صليبا الحكيم « الدكتور » في الفلسفة من أفضل من أكمل تحصيله في مدارس الغرب محافظة على قوميته وغيرة على دوس رجال سلفه الصالح ، ولم يكتف بمصطلحات الفلسفة في الفرنسية أو بما نشر في تربيتها في العربية والتركية ، فعكف على مطالعة كتب السلف في الفلسفة وفي علمي الكلام والتصوف ، وهما العلمان العريان اللذان حضا الفلسفة ، متقبعا عما وضع علماؤنا من المصطلحات ومختاراً منها ما يدل تمام الدلالة على المعاني الفلسفية الحديثة ، ولذلك جاءت ترجماته ومؤلفاته في خلة عربية قشبية لا تشوبها عجمة ، ولا تخفيها ظلمة ، لصحة تمثيلها وتوضيحها وتنويرها .

لا يكتب الأستاذ صليبا الا بعد أن يدرس ويحيط بموضوعه تحليلاً وتنقيحاً او بعبارة أوضح بعد أن يفهم ما يدرس ويمثله جيداً ، ولذلك يجيء ما يكتبه صحيحاً في معناه ومبناه ، فان ظلمة التعبير أثر من ظلمة التفكير ، وبحته هذا عن « ابن سينا » دلالة واضحة على ذلك .

بدأ رسالته بتوطئة عامة ذكر فيها ابن سينا وأنه لم يشتهر عند الأوروبيين

بشرح مذهب أرسطو اشتهار ابن رشد ، غير أن قيمته عند فلاسفة الاشراف أعظم من أن توصف ، وأن كتبه الطيبة قد ترجمت الى اللغة اللاتينية كما ترجمت كتبه الفلسفية ، ويبحث عن عني من علماء أوروبا بفلسفته كغليوم الافريبي والقديس توما دكينو وروجه باكون ، ثم بين المؤلف الفوارق بين الفلسفة الرشدية وفلسفة ابن سينا والفارابي وان فلسفتها مستمدة من الفلسفة الافلاطونية ، واستشهد المؤلف على احكامه الصحيحة بشواهد اقتبسها في الحواشي من كتب فلاسفة العرب كتهافت التهاوت والشفاء ومنطق المشرقيين .

والبحاث الكتاب ممتعة تجلو كثيراً من غوامض ابن سينا حتى تكاد تمثل لك صورته بكثير من الوضوح ، كأبحاث حياته وآثاره وفلسفته ومصادرها العربية والاعجمية ، ومنها بحثه عن منطق ابن سينا في كتابه منطق المشرقيين وعن رأيه في النفس مستخرجاً من كتبه الثلاثة النجاة والشفاء والاشارات .

وختم الحكيم جميل صليبا كتابه هذا ببحث ( الاخلاق والتصوف في نظر ابن سينا ) فبحث عن العنابة واللذة في إدارك الكمال ولذة العارفين ومقاماتهم ورياضة المرید والوصول وصفات العارف الى غير ذلك من الرقائق واللطائف ، فجزاه الله عن فلسفة أمته العربية خيراً ، فقد كشف عن سرها وقدرها حتى قدرها .

التوضي

\*\*\*

## ديوان البراعم

٢١٥ صفحة ، بالمطبعة العلمية بـجلب

الاستاذ عمر يحيى شاعر حماة انسان نبيل يمتاز بصفات سامية فهو كرم النفس مخلص في الود ، رقيق الحاشية ، دقيق الشعور ، تشبیه الكلمة الطيبة ، ويرقص المعنى الجميل

اما علمه بالمكتبة الادبية فجد عظيم ، وما حفظه من دررها نظماً وثراً اعظم ،  
قرأ كثيراً ، وحفظ كثيراً ، فلذلك ترى في شعره مسحة لا تراها في شعراء هذا الجيل  
فهو جزل ، متخير الالفاظ ، له قوة جعلت بعض من يدرسونه شعره يتقيدونه  
ويحملون عليه ، وهذا في رأيي ما كان ينبغي ان يبكر هذا الشاعر من اجله ، فما احوجننا  
نحن الآن الى شعراء يحيون الاسلوب الجزل وينهجون نهج شاعر النيل حافظ - بل الله  
ثراء - في احياء اللغة الحرة الصحيحة وطرد الالفاظ السجدة والتراكيب الدخيلة المبتذلة .  
واما معاني عمر فمنها العادي المطروق ومنها الثمين السامي ومن ارق شعره واسمائه  
قوله في وداع غرناطة على لسان آخر ملوكها ابي عبد الله الصغير :

أطل المليك غداة الجلاء	على مجده والاماني الغور
وراح بقلب في افقه الحية	ب مجونا تسيل الدرر
فراق ولا كفراق الشباب	وشجو بذوب لديه الحجر
يمد الى الدار كف الوداع	ويبكي فتبكي عليه الزمر
ليال نقضت عليها النعيم	يرف رفيف الخزامي سحر
وشوق مقيم اليها وأنى	تعود اصائلها والبكر
هنا السرور فوق قبور الجدود	وتبدو هناك مغاني السمر
وشنيل يحري حزين الخربز	كان الزمان به قد أضر
على ضفتيه جنان الخلود	وفي حافتيه نعيم النظر
غياض تضوع ريحانها	وأزهر فيها ضياء القمر
عجبت لقائي كيف انثنى	معي ولعقلي كيف استقر
امنت الزمان وحدثاته	فهاز العدو وأعياء الظفر
فلا تحقرن عدواً رماك	وإن كان في ساعديه قصر

ومن شعره الرقيق قوله في الناعورة واتينها ، وقد تفتن في ذلك كثيراً . وله  
شعر قوي بنطق بما لعمر من منانة في عقيدته الوطنية وليس ادل على ذلك من  
قصيدته في فيصل وصالح قنباز ونكبة فلسطين .

اسعد طلس